المجلة التاريخية المصرية ٥٨ (ديسمبر ٢٠٢٤) ٣٠١-٣٧٤

تنصيب خاقان المغول ومراسم استقبال السفراء في ضوء تقرير المبشر الفرنسيسكاني حنا بلانو كاربيني (١٢٤٥- ١٢٤٧م)

The installation of the Mongol Khagan and the reception ceremony of ambassadors in the light of the report of the Franciscan missionary John of Plano Carpini (1245–1247 AD)

د. أميرة محمد محمود نافع (*)

مستخلص

تتناول هذه الدراسة وصف الطقوس والمراسم المتبعة في تولي خان جديد العرش المغولي، وأيضا استقبال السفراء في البلاط الامبراطوري، وجاء ذلك الوصف من خلال تقرير كتبه الراهب الفرنسيسكاني حنا بلانو كاربيني، الذي أرسله البابا أنوسنت الرابع لقراقورم، عاصمة المغول، من أجل التبشير بالمسيحية الكاثوليكية بين المغول، ودعوة خانات المغول للخضوع للبابوية، ومن ثم قيام تحالف عسكري بينهما للتخلص من خطر المسلمين.

وعلى الرغم من فشل البعثة على المستوى السياسي والديني، فإن فائدتها كانت عظيمة فيما تركته من معلومات عن كل نواحي الحياة في المجتمع المغولي، وترجع أهمية المعلومات التي جاءت في تقرير كاربيني إلى أنه كان شاهد عيان، فقد أدت الظروف به إلى أنه ظل مقيما عدة أشهر بين المغول، كما قدر له أن يحضر تنصيب

(*) مدرس تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة الزقازيق

كيوك خانا للمغول، وشاهد مراحل الاعداد للاحتفال بجلوس الخان على العرش، وكذلك كيفية استقبال الخان للسفراء الذين جاءوا من أماكن مختلفة، لتجديد تبعيتهم للمغول، وهم محملين بالهدايا القيمة للخان المغولي، وقد أعطى كاربيني وصفا تفصيليا عن التعليمات التي لابد أن يلتزم بها أي غريب يطأ أرض المغول، والطقوس المتبعة عند دخوله ووقوفه أمام الخان المغولي، حتى مغادرته بلاد المغول.

ومن المرجح أن صورة المغول في أذهان المجتمعات المعاصرة لهم، كانت لا تتعدى كونهم قوم من البرابرة الأجلاف، الذين كانوا بعيدين عن كل ألوان المدنية، ولكن الصورة التي نقلها كاربيني – في بعض النواحي – تقول بخلاف ذلك، فهو مجتمع منظم تحكمه قوانين صارمة (الياسا)، كما كان للبلاط المغولي حياة منظمة تسير وفق قواعد معينة، وهناك عادات وتقاليد لا يمكن أن يحيد عنها أي فرد في المجتمع المغولي.

Abstract

This study deals with the description of the rituals and ceremonies followed in the assumption of a new Khan to the Mongol throne, as well as the reception of ambassadors at the imperial court. This description came through a report written by the Franciscan monk John Carpini, who was sent by Pope Innocent IV to Karakorum, the capital of the Mongols, in order to preach Catholic Christianity among the Mongols, and to call on the Mongol khans to submit to the papacy, and then to establish a military alliance between them to eliminate the danger of the Muslims.

Despite the failure of the mission on the political and religious level, its benefit was great in the information it left behind about all aspects of life in Mongol society. The importance of the information contained in Carpini's report is due to the fact that he was an eyewitness. Circumstances led him to remain among the Mongols for several months. He was also destined to attend the inauguration of Kuyuk Khan for the Mongols, and he witnessed the stages of preparation for the celebration of the Khan's accession to the throne, as well as how the Khan received the ambassadors who came from different places to renew their allegiance to the Mongols, carrying valuable gifts for the Mongol Khan. Carpini gave a detailed description of the instructions that any foreigner who sets foot on Mongol land must adhere to, and the rituals followed when entering

and standing before the Mongol Khan, until he leaves the country of the Mongols.

It is likely that the image of the Mongols in the minds of contemporary societies was nothing more than a people of rough barbarians, who were far from all forms of civilization, but the image conveyed by Carpini - in some respects - says otherwise. It was an organized society governed by strict laws (Yassa), and the Mongol court had an organized life that proceeded according to certain rules, and there were customs and traditions from which no individual in Mongol society could deviate.

وعن النقاط الرئيسية التي يتناولها البحث، ففي البداية التعريف بالمغول وموطنهم، ثم مساعي البابوية لعقد تحالف سياسي وعسكري مع المغول كقوة فرضت نفسها على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية خلال القرن الثالث عشر الميلادي، ثم الحديث عن السفارات التي أرسلتها البابوية للمغول، ثم تحديد بعثة حنا بلانو كاربيني، باعتبارها أولى البعثات المسيحية التي وصلت إلى عاصمة المغول قراقورم، وأقام المبشر الفرنسيسكاني كاربيني لفترة في معسكر الخان المغولي كيوك، وعاش وسط المغول، وعلى الرغم من أن هذه البعثة فشلت فى تحقيق هدفها الرئيسي، وهو التبشير بالمسيحية الكاثوليكية بين قبائل المغول، وعقد تحالف عسكري مع المغول ضد العالم الإسلامي، فإن أهميتها الكبرى تمثلت في تقديم معلومات مهمة عن المغول وحياتهم وعقائدهم ونظمهم الاجتماعية والقانونية، بل وجغرافية بلادهم، فضلا عن وصف الطقوس التي يقوم بها المغول عند اعتلاء خان جديد العرش، ووصف مراسم استقبال السفراء، والهدايا التي يحملها جميع الوافدين للخان المغولي، وفي نهاية البحث تم تناول أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة.

ظهر المغول على مسرح الأحداث السياسية في القرن الثالث عشر الميلادي، وبعد غزوهم لروسيا وشرق أوربا [١]، أصبحوا خطر يهدد الغرب الأوربي، لذلك

[١] المغول هم صنف من الأتراك، وعرفوا في التاريخ باسم التتار أيضا ولكنهما ليسا واحدا،لأن التتار أيضا هم صنف من الأتراك، حيث تمكن قائد القبائل المغولية جنكيز خان من بسط سيطرته على قبائل التتار، ومن ذلك الحين أصبح اسم التتار يطلق أيضا على المغول، وقد اشتهروا في التاريخ بهذين الاسمين، وخلال الفترة الممتدة من ١٢١١-١٢١٥م نجح جنكيز خان أيضا في اخضاع مملكة كين الصينية ، وخلال الفترة من ١٢١٩- ١٢٢٣م اكتسحت قواته الدولة الخوارزمية، وعندما مات جنكيز عام ١٢٢٧م كانت غزواته قد مدت نطاق إمبراطوريته من نهر الدنيبر حتى بحر الصين ووسعها ابنه أوكتاي إلى مناطق

أبعد من ذلك، حيث تمكن أوكتاي في الفترة من ١٢٣٧م و ١٢٤١م من السيطرة على روسيا وإحكام السيطرة على بلاد أرمينية والكرج، ،واستمر الغزو المغولي حتى وصل إلى أبواب أوربا الشرقية حيث سيطر الجيش المغولي على بولنده والمجر وبذلك اقتربت غزوات الجيش المغولي من سواحل البحر الأدرياتي، وأصبح الطريق مفتوحا أمامهم إلى غرب أوربا. راجع: الهمذاني، (رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير ت ٧١٨هـ/١٣١٨ م)، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن)، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، المجلد الأول، ج١، ط٢، دار النهضة العربية،بيروت، ١٩٨٣م ، ص٥٣-٨٥، ٩٧، ١٠٢-١٠٣، ابن الأثير (علي بن أحمد بن أبي الكرم ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، بيروت،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١٠، ص٤٠٠، ٤١٦-٤١٨، الجويني (علاء الدين عطا ملك ت ٦٨١هـ) ، جهان كشاي، تحقيق محمد بن عبدالوهاب القزويني ، ترجمة السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، المجلد الأول، طبعة ٢٠٠٧، ص ١١٦، ابن العبري ، ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج من أهرون الطيب الملطي ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، تاريخ مختصر الدول،بيروت، ١٩٠٠م ، ص ٣٩٨ ، أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) ، المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، د.ت، ج٣ ، ص ١١٦، ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد الحضرمي ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، الخبر عن دولة التتر تاريخ المغول من كتاب العبر، تحقيق ودراسة أحمد عمراني، دار الفارابي، د.ت ، ص ١٠٥-١٠٨، ١٣٦، القلقشندي (أبي العباس أحمد بن علي ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د.ت، ج ٤، ص ٣٠٤، ابن العماد الحنبلي (شهاب الدين أبي الفلاح بن أحمد ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط،، دار ابن كثير ،الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١، ج ٧، ص ١١٨ ،١٥٥، ١٩٨، ٣٦٣،الرمزي، تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، ،أورنبورغ، ١٩٠٨، ج١ ، ص٣٦٥-٣٦٦، ٣٧٧-٣٧٩،: التاريخ السري للمغول،ترجمة سهيل زكار، دمشق، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص١٢٥-١٦١، ١٧٢-٢٢٠، متى الباريسي، التاريخ الكبير(١٢٣٥-١٢٧٣م)، ترجمة وتحقيق سهيل زكار، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٤٠، دمشق ، ٢٠٠١م، ص١٥٤، راجع أيضا: هارولد لامب ، جنكيز خان وجحافل المغول،ترجمة متري أمين، القاهرة،١٩٦٢م، ص٦٤،فؤاد عبد المعطي الصياد ، المغول في التاريخ،دار النهضة العربية،بيروت، ١٩٨٠م،

الجزء الأول، ص ٢٥-٢٧،علاء محمود قداوي، رغد عبد الكريم أحمد، إمبراطورية المغول : دراسة في تكوينها وصراع الأسرة الحاكمة على منصب الخان الأعظم، آداب الرافدين، العدد ٥٩، ٢٠١١م، ص٣٠٤ – ٣١٠. عادل إسماعيل هلال، العلاقات بين المغول وأوربا، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م، ص ٣٣-٤٨، صبري أبو الخير سليم، قيام دولة مغول القفجاق في روسيا وسياستها الخارجية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق،١٩٩٢، ص ١٠- ١٤، ص١٧-٤٢ ، محمود سعيد عمران، المغول وأوربا، دار المعرفة الجامعية، د.ت، ص٣٨- ٤٠، عباس إقبال، تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية،ترجمة عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبوظبي، ٢٠٠٠م، ص٥٧-١٠٣. راجع أيضا:

Anonymous ,The Chronicle Of Novgorod:1016- 1471,Trans from Russian by Robert Michell and N.Farbes,London, 1914,Vol.XXV,pp.55-58,64-66,81-84, Dawson.Ch,(ed), Mission to Asia London, 1966,pp.19-25, p.27,29,30.Cf.also: Saunders,J.J.,The History Of The Mongol conquests, London, 1971,pp.31-52,81-87 , Vernadsky, The Mongol and Russia, New Haven,1953,pp.40,49-52,Denis Senior, History Of Hungary,London,N.D, pp.57,67,71-74,Cheshire,Harold.,"The Great Tartar Invasion Of Europe", in Slavonic Review,1926-7,pp.89-99,Chambers,James, The Devil's Horsemen:The Mongol Invasion Of Europe, London,1979,PP.70-71,84-85,98-99,100-105,107-109,Dmytry,Basil(ed and trans),Medieval Russia, A source book 900-1700, NewYork, 1967,pp.87-88,90-93,Diens,M.,"Eastern Missions of the Hungarian Dominicans in the first half of the thirteenth centurty", Isis, 1937, vol.27, pp.234-235,238-239,240, Boswell, A.Bruce.," Territorial Division and The Mongol Invasions:1202-1300", The Cambridge History Of Poland, Cambridge,1950 ,vol.1,pp.85,92,107,Richard,J.,La papaute et Les Missions D'Orient au Moyen age (XIII- XV siècles),ecole Franciase de Rome, 1977,pp.67-70,220,Rachewitlz,Igorde,Papal Envoys to the Great Khans,London,1970, 68-75,Jackson,P., "The Mongols and Europe",in the new Cambridge medieval history, Cambridge University Press,2008,vol.5,pp.703-709

سعى البابا جريجوري التاسع Gregory IX (١٢٢٧- ١٢٤٠م)[١] للتحالف معهم ولكن دون جدوى، وبعد اعتلاء البابا إنوسنت الرابع Innocent IV العرش البابوي (١٢٤٣ – ١٢٥٤م) [٢]، سعى إلى عقد تحالف مع المغول لمواجهة خطر

[١] جريجوري التاسع : هو Hugolinus الذي كان أسقفا في Ostia ، وكان ينتمي إلى أسرة Conti في Anagni ، تم اختياره ليشغل للكرسي البابوي في ١٩ مارس عام ١٢٢٧م ، وكان عالما بالقانون الكنسي ، كما كان شديد الحماسة للحركة الصليبية .للمزيد راجع:

A.E.Mckilliam,M.A., A chronicle of the popes from St Peter To Piusx, London, 1912, p.308

[٢] هو أحد كرادلة مدينة جنوا الإيطالية، تم انتخابه من قبل كبار رجال الدين بعد تعطيل الانتخاب إلى ما يقرب من عام ونصف أثناء الصراع مع الإمبراطور الألماني فردريك الثاني Frederick II (١٢١٢/ ١٢١٥م ؟ – ١٢٥٠م)، مما أجبره على الإقامة في مدينة ليون الفرنسية بدلا من روما، وقد حاز هذا البابا على شهرة واسعة من جراء اتصالاته مع قادة المغول ، حيث أدرك هذا البابا مدى الخطر الذي يحيق بالغرب الأوربي من غزوات المغول، وكان يعرف مدى تفكك الغرب الأوربي نتيجة للصراع مع الإمبراطور الغربي ، فضلا عن عدم قدرة هذا البابا على القيام بأي تجهيزات حربية لمواجهة هذا الغزو المغولي ، لذلك فكر في أن إيفاد الرسل والمبعوثين لقادة المغول هو الحل الأفضل ، وقد شجعه على اتخاذ تلك الخطوة رواية بطرس الأسقف الروسي عن معتقدات المغول وتسامحهم الديني واحترامهم للسفراء.راجع:

Yule,H., Cathay and The Way Thither,vol.1, London, 1915,p.152

عادل هلال ، المغول ص ٥٥-٥٦،٧١ ، علي أحمد السيد ،" جهود جون أف مونت كورفينو التبشيرية في الصين"، مجلة الإنسانيات، العدد(٢٥)، فرع دمنهور، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٧م.، محمود سعيد عمران، المغول وأوربا، ص ٢١٩ راجع أيضا:

A.E.Mckilliam,M.A., A chronicle of the popes ,pp.312-315,The Oxford Dictionary of Popes, by:J.N.D.Kelly, (New York : Oxford University press,1999), PP.192-193,Rachewiltz, Igord., Papal Envoys to The Great Chans, London,1970, p.84,Yule, Cathay, Vol.1,p.154, Ho,C.," Thirteenth and Fourteenth Century European- Mongol",university of California Santa Barbara ,2012,p.948

المسلمين من جهة، ولإيقاف المد المغولي في شرق ووسط أوربا من ناحية أخرى، وقد خيل للبابا أن السبيل لتحقيق هذا التحالف هو تنصير وكثلكة الشعب المغولي الوثني، حيث اعتقد البابا أنه بذلك سوف يفرض سيادته على المغول ويصبحون أتباعا له. ولتشجيع دول أوربا للتحالف مع المغول روجت البابوية في تلك الفترة لشائعات عن ظهور ملك مسيحي في الشرق وهو الكاهن حنا prester John وهو الملك الذي سوف ينقذ اللاتين من خطر المسلمين، وقد نظر الناس في تلك الفترة لجنكيز خان على أنه الملك المسيحي المرتقب، ولكن الأحداث أثبتت عكس ذلك بعد غزوه لشرق ووسط أوربا [١].

[١] في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي ساد في أوربا اعتقاد عن ظهور أمير مسيحي في الشرق البعيد بإمكانة مساعدة الصليبيين ومهاجمة المسلمين، وقد انتشرت هذه الأسطورة بمعرفة رجل الدين المؤرخ أوتو الفريزي Otto Of Freising وكان ذلك في فترة استعادة المسلمين لمدينة الرها عام **١١٤٤**م، وزوال أول إمارة صليبية في الشرق العربي الإسلامي، وكانت تقوم هذه الأسطورة إلى وجود ملك مسيحي قوي في الشرق البعيد سوف يساعد الصليبيين في الشرق بإرسال جيشه إلى اللاتين في القدس، ولكن لأسباب سوء الطقس لم يتمكن حنا من إرساله لبيت المقدس اللاتينية ، وعلى الرغم من أن تلك المساعدة لم تتحقق، إلا أن هذا الأمل ظل يراود اللاتين سواء في الغرب الأوربي أو في الشرق الصليبي ، وبعدما يقرب من ثمانين عام بدأت تظهر تلك الشائعات بقوة خاصة بعد سقوط دمياط في أيدي الصليبيين عام **١٢١٩**م، حيث اعتبر الصليبيون أن في ذلك بادرة أمل لإنقاذهم من المسلمين ، ويبدو أن تلك الأسطورة كانت تلقى رواجا في فترات الأزمات حيث روج رجال الدين والمبشرين اللاتين لظهور هذا الملك المنتظر ، بل اعتبروا في فترة م الفترات أن جنكيزخان هو ذلك المسيحي المرتقب، ولكن الأحداث وهجوم جنكيز خان بجيوشه على كثير من الدول المسيحية في شرق ووسط أوربا أثبت عكس ذلك. للمزيد عن أسطورة الكاهن حنا راجع :

الرمزي، تلفيق الأخبار، ج**١**، ص**٣٩٩**، ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ترجمة عبد العزيز جاويد،القاهرة، الطبعة الثانية،**١٩٩٥**م ، جـ **١**، ص **١٥٤** – **١٥٦**، ج**٣**، ص **١٤٥**– **١٤٨**،محمود سعيد عمران، المغول وأوربا، ص **٢١٦**– **٢١٨**، محمود سعيد عمران ،المغول

على أية حال، أرسل البابا إنوسنت الرابع عددا من السفارات عام **١٢٤٥**م إلى المغول، برئاسة رهبان من جماعة الرهبان الفرنسيسكان مثل بعثة لورانس البرتغالي Lawrence of Portugal، التي كانت تضم اثنين من الرهبان الفرنسيسكان الإنجليز هما حنا استانفورJohn of Stanford ، وأبرهام دي لارد Abraham de Larde ولكن تلك البعثة لم تصل إلى أبعد من مدينة إياس Ayas* [١].

والأوربيون والصليبيين وقضية القدس ، دار المعرفة الجامعي، **٢٠٠٣**م، ص **٣٠٣-٣٠٥**، عادل هلال، العلاقات بين المغول وأوربا، القاهرة، الطبعة الأولى،**١٩٩٧**، **١٨- ٢٦** ، صبري أبوالخير، مغول القفجاق، ص**٤** ؛ راجع أيضا :

Plano Carpini,pp.22-23,Otto,Bishop of Freising, the two cities, Achronicle of universal history to the year 1146 A.D,Trans and Notes by Charles Chrisopher Mierow, ,Columbia university,1928,pp.443,444.see also: Yule,H., Cathay and The Way Thither, London, 1915,vol.1,pp.116,154-155, Nowell,Ch.," The historica prester John", Speclum,vol.XXVIII,No.3, 1953, pp.435-445,Ross,D.E.,"Prester John and the empire of Ethiopia",in Newton(ed.), travel and travelers of the middle ages,London,1930,pp.174-194,Richard,J.," La Papoute Et Les Missions d'Orient au Moyen Age (XIII-Xv Siecles), ed. In C.M.V: Les Perspectives Orientals du monde Latin Medieval, (C.S.),182,London : Variorum,1983,p.66, Connell,C.W.,"Western views of the Origin Of The Tartars: An Example of the Influence of myth in the Second half of the thirteenth centry, in the journal of medieval and revaissance studies, vol.3, 1973,pp.122-125,Rachewiltz, Papal Envoys,pp.19-40, 106-107, Jackson, "The Mongols and Europe",in the new Cambridge medieval history, vol.5,p.711,Denis Sinor "The Mongol and Western Europe", pp.516-518, Ho," Thirteenth ",p.948, Baldwin," Missions To The east in Thirteenth and Fourteenth Centuries", in Setton(ed). ,A History of the Crusades, Vol.5, Wisconsin, 1985, pp.470-472.

[١] عن بعثة لورانس البرتغالي راجع:

كما أرسل البابا سفارات أخرى برئاسة بعض الرهبان الدومنيكان* مثل تلك التي أرسلها عام **١٢٤٥**م/ **٦٤٣**هـ برئاسة الراهب الدومنيكاني أندريه لونجيموه Andrew of Longiumeau إلى القائد المغولي بايجو Baiju في بلاد فارس و أسيا الصغرى بهدف التحالف ضد المسلمين، وأيضا لجمع معلومات كافية عن مغول فارس وأسيا الصغرى، وتسليم عدد من الرسائل لقادتهم بتلك المناطق، ولكن أندريه فشل في مقابلة بايجو Baiju القائد المغولي في غرب أسيا و سلم خطاب البابا إلى قائد إحدى الفرق المغولية في تبريز* وعادت البعثة إلى مدينة ليون الفرنسية عام **١٢٤٧**م دون أي نتائج[١].

Rachewiltz,Papal Envoys to the Great Khans,pp.86-87 , Phaire,Barbara Rose.,Papal Motivations for Asian Apostolate: 1245-1254,Analysis Unbuplished Ph.D, New York, 1972, pp.28-29,Herde, the relations of the papacy with mongol and muslim Rulers in late thirteenth century,p.204

* مدينة إياس هي مدينة وميناء تجاري مهم بأرمينيا الصغرى، تقع عند مصب نهر جيحان في البحر المتوسط . انظر: ماركو بولو، الرحلة، ج ، ص **٢٨**– **٢٩**، هامش **(٣)**

[١] للمزيد عن تلك البعثة راجع:

Phaire,Barbara Rose.,Papal Motivations for Asian Apostolate:1245-1254,Analysis Unbuplished Ph.D, New York, 1972, pp.45-47,60-70,Pelliot,P.," Les Mongols et La Papaute",Revue De L'Orient Chretien, XXIV,1924, p.225ff, Guzman," Simon of Saint Quentin and the Dominican Mission to the Mongol Baiju", Speculum, Xlvi,1971,pp.235-236,242, Baldwin," Missions To The east in Thirteenth and Fourteenth Centuries", in Setton(ed).,A History of the Crusades, Vol.5, Wisconsin,1985,pp.476-477

* أما عن جماعة الدومنيكان " الإخوة المبشرين":أسسها دومنيك (**١١٧٠**–**١٢٢١**م) في مدينة تولوز في بداية القرن الثالث عشر الميلادي، وحصلت على موافقة البابوية عام **١٢١٦**م ، وقد تم إنشاء تلك الهيئة الدينية للتبشير بين الهراطقة والملحدين في جميع أنحاء العالم.

كما خرجت بعثة أخرى برئاسة الراهب الدومنيكاني آسيلين اللمباردي Ascelin Of Lombardy ومعه اثنان من الرهبان الدومنيكان هما الراهب Simon Of Saint Quentin و الراهب Guiscard Of Cremona، والتي انطلقت من مدينة ليون في مارس أو أبريل عام **١٢٤٥**م لمقابلة القائد المغولي بايجو من أجل تحالف عسكري، وقد قابلت البعثة القائد بايجو في منطقة سيسيان Sisian شمال تبريز، وقد أبدى بايجو استعداده للتحالف العسكري مع الغرب الأوربي لمحاربة المسلمين بل والقضاء على الخلافة العباسية في بغداد شريطة أن يتم تسليم الخطابات البابوية للخان كيوك* شخصيا، وسماع رده بشأن هذا التحالف، ولكن البعثة رفضت هذا الاقتراح لأنه لم يتم تكليفها من البابا بالذهاب إلى قراقورم[١]

Baldwin," Missions To The east ",pp.456-457.

راجع أيضا: عادل هلال، ص **٨٩**، هامش (**٨١**)

* تبريز: أشهر مدن أذربيجان وكات حاضرتها ، وفي عهد هولاكو كانت هى عاصمة إيلخانية فارس، ووصفت في معجم البلدان بأنها كانت مدينة عامرة حسناء ، كان لها أسوار محكمة وفي وسطها عدة أنهار جارية والبساتين محيطة بها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت ،**١٩٧٧** المجلد الثاني، ص**١٢** ،ماركو بولو، الرحلة، ج**١**، ص **٦٤**.

[1] Guzman,Gregory C.,Simon of Saint Quentin and the Dominican Mission to the Mongols:1245- 1248, unbuplished Ph.D,Cincinati university,1968,pp.38-40,52-55,65,69,70, Guzman," Simon of Saint Quentin",pp.245- 246, Rachewiltz, Op .cit, pp.115-117, Denis " Mongol and Western Europe", ,pp.519-520

* كيوك هو الابن الأكبر لأوكتاي قاآن ولد من زوجته الكبرى " توراكنه خاتون"، وكان له زوجات ومحظيات كثيرات، وكانت "أوغول قاميش" كبراهن جميعا، وقد اعتلى عرش الإمبراطورية المغولية (**٦٤٤**- **٦٤٧**هـ ، **١٢٤٦**- **١٢٤٩**م). راجع: الرمزي، تلفيق الأخبار، ج**١**، ص **٣٩٦**، الهامش، الهمذاني، جامع التواريخ ،ج**١**، ص **١٧٥**- **١٧٦**.راجع أيضا:

Dawson, mission,p.61,Note (1), The journey of Rubruck, p.19,note (1)

ويبدو أن هذه البعثة واجهت بعض الصعوبات لأسباب عدة منها النبرة المتعجرفة التي ظهرت في رسالة البابا والتي أزعجت القائد المغولي بشأن وقف الغزو المغولي لشرق أوربا، والتكفير عما ارتكبوه هناك من مذابح للمسيحيين بوصفهم رعايا للبابا، والدعوة إلى اعتناق المسيحية الكاثوليكية، فضلا عن أن البعثة لم تقدم هدايا للقائد بايجو كما يفعل كل السفراء عند قدومهم إلى بلاد المغول كنوع من إظهار الولاء للمغول، وأيضا إصرار المبعوث البابوي على أن البابا هو سيد العالم أجمع فهو نائب المسيح على الأرض، وعندما رفض أفراد البعثة الركوع للقائد المغولي على اعتبار أنهم ممثلون للأب الأعلى لكل المسيحيين على الأرض، ومن ثم أصدر بايجو حكما بإعدام أفراد البعثة، ولكن اقترح أحد المغول الحاضرين إعدام بعض أفراد البعثة بما فيهم آسيلين وإرسال رؤوسهم مع باقي أعضاء السفارة الأحياء للبابا، وإن كان آسيلين في الوقت ذاته أعلن أنه وكل الإخوة الموجودين معه سوف يخرون سجدا أمام بايجو ويقبلون قدميه إذا اعتنق المسيحية الكاثوليكية، ولكن لم ينقذ أفراد البعثة من تنفيذ حكم الإعدام سوى وصول أحد قادة المغول من قراقورم وهو الجيجداي Eljigidei * الذي كان على دراية ببعثة كاربيني ورد الخاقان عليها، وطلب من بايجو الرد بنفس رد الخاقان، وهو ما تم بالفعل حيث اشتملت الرسائل التي أرسلها بايجو مع السفارة المغولية[١]،التي رافقت بعثة أسيلين عند عودتها إلى ليون عام **١٢٤٨**م، على استياء المغول من أفراد البعثة الذين

---

(1) Eric Voegelin, " The Mongol Orders Of Submission To European powers 1245-1255",in Byzantion,vol.15,(1940-1941), ,p.379, Guzman," Simon of Saint Quentin",pp.239

* أرسل بايجو رسولين مع آسيللين إلى الغرب الأوربي لبحث إمكانية التحالف، وظل السفراء المغول لدى البابا حتى عام **١٢٤٨**م / **٦٤٦**هـ دون أن تسفر المفاوضات عن أي شيء جديد.راجع عادل هلال ، المغول، ص **٧٠**

رفضوا الركوع للقائد المغولي، وضرورة قدوم البابا وملوك أوربا إلى بلاد المغول وإعلان خضوعهم للخاقان كشرط للتحالف العسكري[١]

أما عن أولى البعثات التبشيرية التي وصلت إلى قراقورم[٢]عاصمة المغول فقد كانت برئاسة المبشر الفرنسيسكاني حنا أوف بلانو كاربيني John of Plano Carpin، (١٢٤٥-١٢٤٧م).

---

[1]Ho,Colleen.," Thirteenth and Fourteenth Century European- Mongol", university of California Santa Barbara, p.2012, Eric Voegelin, " The Mongol Orders" ,pp.379-380,Guzman,Gregory C.,Simon of Saint Quentin, pp.38-40,52-55,65,69,70, Idem," Simon of Saint Quentin and the Dominican Mission to the Mongol Baiju", Speculum, Xlvi,1971, pp.235,236, note(39) ,239,242,246, Rachewiltz, Papal Envoys , pp.85-86,112-113,115-117, Phaire, Papal Motivation, pp.45-47,60-61, Richard, La Papaute, pp.71,74, Phaire, Op.cit, p.45, Denis " Mongol and Western Europe", in Setton(ed).,A History of the Crusades,Vol.3,Wisconsin,1975, pp.519-521, Baldwin," Missions To The east in Thirteenth and Fourteenth Centuries", in Setton(ed).,A History of the Crusades,Vol.5,Wisconsin,1985,p.474,476

عادل هلال ، المغول ص ٥٥ - ٧٠، محمود سعيد عمران، المغول وأوربا، ص ٢١٩ - ٢٢٧

* لقد أوكل الخان كيوك إلى الجيجداي (إيلجيكتاي) التصرف في شئون بلاد الروم والكرج والموصل وحلب وديار بكر ، ومحاربة الملاحدة وإخضاع الولايات الثائرة . راجع : الهمذاني ، من أوكتاي إلى تيمور ، ص ١٨٣ راجع أيضا:

Richard, La Papaute, p.73

[٢]قراقورم Karakorum : تقع على الضفة الشمالية لنهر أورون Oron في موضع ليس بعيدا عن ملتقى ذلك النهر مع سيلينجا Selinga في جنوب بحيرة بيكال Baikal ، وقد تم تشييدها بأمر من جنكيزخان وفي عام ١٢٣٤م أصبحت مدينة يحيط بها سور، وقد شيد الصينيون حصونها،وكانت عاصمة سلاطين المغول وهى تعد من أكبر المدن في مغولستان، كان الراهب كاربيني أول مسافر من الغرب الأوربي يذكرها وقد كتبها قرا قورم ، وهو لم يزرها

ولد كاربيني في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ربما عام (١١٨٢/ ١١٨٥م؟)، في مدينة صغيرة تسمى Pian di Carpine، والتي تعني حرفيا شعاع الهلال البين (الواضح)، بالقرب من بروجيا Perugia– تبعد عنها حوالي ١٤ميلا، وتسمى الآن Magione، وهى تلك المدينة التي كانت مقر رئيس الأساقفة وعاصمة منطقة أومبريا في وسط إيطاليا شمال روما، وقد استمد حنا اسمه من

على الرغم من أن المسافة بينها وبين معسكر الخان تستغرق نصف يوم.راجع :الهمذاني، من أوكتاي، ص ٥٩- ٦٠، الجويني، جهان كشاي، م١، ص٢٢٣-٢٢٤،ماركو بولو،الرحلة،ج١، ص ٢٦٩، هامش (١) السباعي محمد السباعي، عطا ملك الجويني وكتابه جهان كشاي ،دار الزهراء للنشر،١٩٩١م، ص١٢، هامش (١)، عباس إقبال، تاريخ المغول منذ جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبد الوهاب علوب، ص٢٠ راجع أيضا:

The journey of William of Rubruck,to the Eastern parts of the world (1253-1255),Trans by Rockhill, W.W.,London ,1900 p.111, note (1), Victor,P.Bernardin, Histoire Universlle Des Missions Franciscaines, Parise , 1898,p. 14,Jackson, "The Mongols and Europe",in the new Cambridge medieval history, vol.5,p.704

* الفرنسيسكان : أحد أنظمة الرهبنة الغربية في الكنيسة الكاثوليكية، تأسست على يد القديس فرنسيس الآسيزي Francis of Assisi (١١٨١- ١٢٢٦م) في إيطاليا في القرن الثالث عشر الميلادي، وتحديدا عام ١٢٠٨م، وسرعان ما أصبح لها فروع في جميع أنحاء الغرب الكاثوليكي، وكان الهدف منها التبشير بالدين المسيحي على المذهب الكاثوليكي. راجع : عادل هلال، المغول، ص٨٩، هامش (٨٠)

John Moorman, A History Of the Francisan Order from its Origins to the year 1517, Oxford, 1968,Cordier,Henri, La Christianisme en Chine et en Asie Centrale sous les Mongols,ToungPao,second series, vol.18,n 1/2,1917, pp.49-113,esp.pp.51-52,Rachewiltz,Papal envoys,pp.85-86,Marshal W.Baldwin," Missions To The east in Thirteenth and Fourteenth Centuries", in Setton(ed).,A History of the Crusades,Vol.5,Wisconsin,1985,pp.455-456.

هذه البلدة مسقط رأسه، وشارك كاربيني بشكل فعال في تأسيس النظام الفرنسيسكاني في أوربا الغربية، وفي عام **١٢٢٢** م تم اختياره للتأسيس لمنظمة الفرنسيسكان في مقاطعة سكسونيا الجديدة، وفي عام **١٢٢٨**م أصبح أسقف لأبروشية في ألمانيا، كما تم إرساله إلى أسبانيا كأسقف، ولكن في عام **١٢٣٣**م عاد إلى ساكسوني كأسقف أبروشية، ثم أسند له البابا إنوسنت الرابع رئاسة البعثة المتجهة إلى البلاط المغولي وذلك عام **١٢٤٥**م، وقد استغرقت البعثة عامين، حيث عادت إلى مدينة ليون الفرنسية عام **١٢٤٧**م، وتوفى كاربيني في أغسطس عام **١٢٥٢**م[١].

غادر كاربيني مدينة ليون الفرنسية في عيد الفصح الموافق **١٦** أبريل عام **١٢٤٥**م،وخلال مروره ببوهيميا انضم له الراهب إيتين (ستيفن) من بوهيميا Etienne of Bohemia وفي بولنده انضم إليه الراهب بندكت البولندي Benedict The Pole كمترجم، حيث كان يجيد اللغة السلافية التي تمكن البعثة من التفاهم مع الروس الذين سوف يقوموا بالوساطة بين البعثة والمغول، ثم اتجهوا إلى كييف العاصمة الروسية ومن هناك اتخذوا طريقهم حتى وصلوا في الرابع من

---

(1) Dawson , mission ,p.2, https://www.britannica.com/place/Perugia, yule, Cathay, vol.1, p.156,157,Zhan Zhang,beyond Preaching: Papal le gate and Sino-western contact in Mongol Yuan Eurasia: 1206-1368, A thesis submitted to the graduate Faculty of Ph.D, in North Carolina state University,2020,p.47, Saunders,J.J.,The History Of The Mongol conquests, pp.91-92,224, Rachewiltz, Papal Envoys,p.89,yule, cathay , vol.1,p.156 and note(1),Mirko Sardelic,"John Of Pano Carpini VS Simon Of Saint – Quentin: 13th Century Emotions In The Eurasian Steppe",in Golden Horde Review,2017, vol .5,no.3,p.498.

فبراير ١٢٤٦م إلى مدينة كانيف Kaniev – جنوب كييف – وهى أول مدينة كانت تحت الحكم المباشر للمغول، وقد منحهم حاكمها* الخيول والمرشدين حتى المدينة الأخرى، ولكن بعد كثير من المماطلة للحصول على أكبر قدر من الهدايا[١].

---

[١] الرمزي، تلفيق الأخبار، ج١، ص٣٩٤، هامش (٢)، محمود سعيد عمران ، المغول، ص ٢٢١– ٢٢٢، محمد سعد الغامدي، المغول وبيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية، الرياض، ١٩٩٠م، ص ٨٨–٨٩.راجع أيضا:

Dawson,mission,p.16, pp.29-30,50-53, Narrative of brother Bendict the pole,in Dawson,mission,p.79, The Journey, 4,note(4), yule, Cathay , vol.1, p.156, Victor, P.Bernardin, Histoire Universlle Des Missions Franciscaines, Parise, 1898 ,p.29, Rachewiltz, Papal Envoys ,pp.89-92, Saunders,J.J.,The History Of The Mongol conquests, London, 1971,p.92,Cordier,Les Chrestianism,pp.70-71, Rowell,S.C., "The Central European",in the new Cambridge medieval history, Cambridge University Press,2008, vol.5,p.769,p.800

* نصح الأمراء الروس أفراد البعثة بترك خيولهم الذين جاءوا بها، لأن تلك الخيول لا تتحمل الرحلة إلى بلاد التتار،و سينفقون جميعا لأن الثلوج عميقة وهذه الخيول لن تستطيع التنقيب عن العشب تحت الثلوج مثل خيول التتار ،وبالتالي فلن يجدوا شيء في الطريق ليأكلوه خاصة وأن المغول ليس لديهم تبن أو علف، وبالتالي تخلت البعثة عن خيولها مع اثنين من الخدم للاعتناء بهم ، أما عن الخيل المغولي والذي يسمى (البوني) ويمتاز بالقوة والرشاقة وخفة الحركة ويغلب على طبعه الحدة، كما أن الخيل المغولي له صفتان مهمتان وهما القوة وشدة التحمل واتساع خطاه. راجع: ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٤٠٠، السيوطي (جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ) ، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، ١٣٧١/١٩٥٢هـ، ص ٤٧١ ،.الغامدي، المغول، ص٣٥–٣٦، كما يشير متى الباريسي إلى سرعة خيول المغول قائلا "وخيولهم سريعة جدا وقادرة على انجاز رحلة ثلاثة أيام في يوم واحد. تاريخ متى الباريسي، ص١٥٤

Rachewiltz, Papal Envoys ,pp.95-96,

وعندما اقتربت البعثة من المعسكر الأول للتتار هاجمها عدد من التتار المسلحين سائلين عن هويتهم وما سبب قدومهم إلى بلاد التتار؟ وأجابوا أنهم مبعوثين من البابا الذي يود أن يكون جميع المسيحيين أصدقاء للمغول، وعندئذ سمحوا لهم بالمرور بعد أن أخذوا قدر من طعام البعثة، وبعد مسافة قصيرة جاء لهم قائد هؤلاء الرجال وسألهم نفس السؤال، وبالمثل أجابت البعثة نفس الإجابة، ثم طلب القائد المغولي منهم الهدايا، وعلى حد قول كاربيني أنهم تعرضوا للابتزاز من جانب هذا الرجل، الذي أخذ منهم قدر كبير من الأشياء التي كانت معهم لاحتياجاتهم الشخصية، وهنا يقول كاربيني أن "المغول لديهم طمع وجشع غير عادي، فهم يطلبون الهدايا بإلحاح شديد، ولديهم قدرة فائقة على ابتزاز واغتصاب ما لدى الغير"[١]، على أية حال أمر القائد بإمدادهم بالخيول والحراس[٢].وفي

---

[1] Dawson, mission ,p.16, p.52,pp.54-56 ,The Journey, 5,note(3), p.6

[٢] الرمزي ، تلفيق الأخبار، ج١، ص ٣٩٤، هامش (٢) ، الغامدي، المغول، ص٨٨-٨٩، راجع أيضا:

Dawson,mission,pp.53-54,The Joureny Of Rubruck , pp.6-7,Victor, Histoire ,p. 30,31, Richard, La Papaute, p.70

* أنشأ المغول في طول بلادهم وعرضها نزلا للبريد (يام) ، وأعدوا الترتيبات اللازمة لكل نزل، وعينوا له ما يلزمهم من الرجال والحيوانات، والمأكولات والمشروبات، ووزعوها على كل التومانات ، وعينوا لكل تومانين نزلا واحدا ، وقد فرض المغول على السفراء أحكاما صارمة للمحافظة على الحيوانات وغيرها ، والواقع أن هذه النزل لم تكن مقامة من أجل السفراء فقط وإنما لخدمة التجارة وكذلك التجسس على الأعداء، وكان المغول يتفقدون دور البريد عاما بعد عام، ويأخذون من الرعية تعويضا عن ما نقص منها ، لكن من الجدير بالملاحظة هو أن نظام البريد وخيل البريد Post-Horse لم تكن من ابتكار المغول ، ولكنهم نقلوه عن أهل الصين حيث كان سائدا هناك منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وابتكروه نتيجة اتساع الأراضي الصينية ، وضرورة الاتصال بين المناطق المتطرفة والحكومة المركزية ، وعندما اتسعت الفتوحات المغولية فطن جنكيزخان إلى استخدام هذا النظام .

الوقت الذي أمدوا فيه البعثة بالخيول و الأدلاء، قاموا أيضا بإرسال رسول ومعه الخطاب المذكور سلفا إلى Corenza رئيس قادة الحرس (قائد عشرة آلاف) [١]، ويذكر كاربيني أنهم بعد وصولهم وجدوا خيام منصوبة لهم، وأرسل لهم رئيس قادة الحرس بعض من رجاله طالبا منهم الهدايا التي يرغبوا في تقديمها له، وعندما حاول أعضاء البعثة إقناعهم بأن البابا لم يرسل معهم أية هدايا، كما أنهم مروا بأراضي تكثر فيها الحروب وبالتالي لا يمكنهم حمل أي شيء أكثر من احتياجاتهم الشخصية، ولكن رفض المغول قبول هذه الأعذار، وهنا اضطرت البعثة أن ترسل للقائد بعضا من الأشياء التي كانت معهم لاحتياجاتهم، ولكن القائد طلب المزيد واعدا إياهم بأنهم إذا استجابوا لأوامره فإنه سوف يعاملهم باحترام وتقدير،

للمزيد عن نظام البريد عند المغول راجع : الهمذاني، جامع التواريخ من أوكتاي،٥٤، ص٦٠ ،ماركو بولو، الرحلة، ج٢، ص٦٩- ٧٤، الجويني ، جهان ، ص ٧٢-٧٣، السباعي محمد، جهان ، ص ٢٣٧، راجع أيضا:صبري أبو الخير ، مغول القفجاق، ص٦٩-٧٢، عبدالرحمن فرطوس، نظام البريد عند المغول، مجلة كلية الآداب،جامعة بغداد، العدد٨٠، ٢٠٠٧م.انظر أيضا:

Dvornik, Origins of Intelligence Services,New Jersy, 1974, pp.262-269,pp.277-281.

[١]يبدو أن Corenza كان سيد الحراس الذين يتم وضعهم لمواجهة شعوب الغرب لمنعهم من القيام بأي هجوم مفاجيء ضد التتار. راجع:

Dawson, mission,p.54

ذكر Rachewiltz القائد المغولي Corenza باسم Qurumshi وهو ابن أخت جوجي بن جنكيزخان، وكان قائدا لكل منطقة القومان.

Papal Envoys to the great Khans, p.94

وذكر Saunders اسمه Khurumsi ، وذكر أيضا أنه ابن أخت باتو.راجع:

The history of mongol,p.92

وبعدما سلمت البعثة معظم ما معها كهدايا للقائد، أخذهم الحراس المغول إلى خيمة القائد(١).

وبالقرب من خيمة القائد تلقت البعثة تعليمات بأنهم لابد أن يركعوا ثلاث مرات بثني الركبة اليسرى أمام باب المسكن وأن ينتبهوا جيدا بعدم لمس عتبة الخيمة بأرجلهم لأن ذلك عقوبته الإعدام، وبعد الدخول للقائد كانوا يكرروا الانحناء بالركبتين، وذلك في حضور النبلاء الذين تم استدعائهم ليكونوا حاضرين لهذه المقابلة، وبعدما سلم كاربيني القائد خطاب البابا، وتم شرح فحواه، أمدهم بالخيول اللازمة وثلاثة من التتار كمرشدين، وقد ترك الراهبان جون وبندكت رفيقهم المريض ستيفن مع الخيول والحراس الذين أحضروهم معهم لعدم قدرته على استكمال الرحلة معهم، وإن كان السبب الحقيقي هو تنفيذ أوامر المغول الذين كان من عادتهم أن يحتفظوا بعدد من أعضاء السفارات الأجنبية كرهائن، ينضموا مرة أخرى لبعثتهم خلال رحلة العودة وانتهاء مهمة السفارة في بلاد المغول(٢).

على أية حال أمدهم رئيس الحراس بالخيول اللازمة وثلاثة من التتار، اثنين منهم من القادة (رؤساء فرق)، بينما الثالث كان ملكا لباتو* وفي الرابع من أبريل **١٢٤٦**م كانت البعثة في مدينة ساراي Sarai عاصمة مغول القفجاق –على نهر

---

(1)Dawson, mission,pp.53-56,79,The journey ,pp.6-8, Cordier,Les Chrestianism, p.71

(٢)الرمزي، تلفيق الأخبار، جـ **١**، ص**٣٩٤**،هامش (**٢**).راجع أيضا:

Dawson, mission,pp.52-55, The journey ,pp.7-8., Cordier,Les Chrestianism, p.71,

** للمزيد من المعلومات عن دور باتو في اعتلاء كيوك العرش راجع: الهمذاني، جامع التواريخ (من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن)، ص **١٢١**– **١٢٤**.

الفولجا-[١]، وكان في الطليعة اثنين من التتار ليخبرا باتو عن كل ما قالته البعثة أمام Corenza، و يذكر كاربيني أنهم عندما كانوا على بعد فرسخ من خيمة باتو طلب

[١]مغول القفجاق (مغول القبيلة الذهبية): بعد انتهاء الغزو المغولي لشرق أوربا، استقر باتو بن جوجي بن جنكيزخان في روسيا على نهر الفولجا حيث أقام دولته التي ضمت معظم البلاد الواقعة بين نهر ارتش أو "ايتل" والسواحل الجنوبية لبحر قزوين، لذلك أغلب آراء المؤرخين تميل إلى أن مؤسس هذه الدولة هو باتو ، حيث أقام عاصمة في سراي على نهر الفولجا ،وفي عهد باتو اتخذت اسم سراي باتو أما في عهد بركة خان عرفت بسراي بركة ،أما فيما يتعلق بإطلاق اسم القبيلة الذهبية على تلك الدولة وذلك نسبة إلى اللون الذهبي الذي اتخذوه لخيامهم وهو اللون الملكي عندهم حيث يعبر عن لون خيمة القاآن الأعظم، أما عن اسم بلاد القفجاق نسبة إلى القفجاق وهم أتراك مساكنهم في الصحراء، أطلق عليهم المجريون والبيزنطيون اسم الكومان، أما عن اسم السراي أو الصراي وهى كلمة فارسية الأصل اقتبسها الأتراك من الفرس، كان المغول يطلقوها على مقام الخان ، ثم اتسع معناها فأطلقت على المدن التي تنشأ حول السراي Palace .لمزيد من التفاصيل.راجع: الذهبي شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ، بيروت ، ٢٠٠٢، ص١٩٠-١٩١،القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج ٤، ص ٤٥١- ٤٦٧ ، الرمزي، تلفيق الأخبار، ج ١، ص٣٧٩، ص ٣٨٢، ص ٤٠١،ص٤١١، ابن عربشاه (أبو محمد أحمد بن عبد الله الدمشقي ت ٨٥٤هـ، عجائب المقدور في نوائب تيمور،تحقيق علي محمد عمر، الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م، ص ٨٣- ٨٤، ابن بطوطة (أبو عبدالله محمد بن عبدالله ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،تحقيق محمد عبد المنعم العريان،مراجعة مصطفى القفاص،٢جزء، بيروت ،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ،ص٢١٦، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول، ص٣٩٦، ابن خلدون ، الخبر عن دولة التتر، ص ١٠٥-١٠٨ ،٢٠٠-٢٠١ .راجع أيضا: صبري أبو الخير سليم، قيام دولة مغول القفجاق في روسيا وسياستها الخارجية، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة الزقازيق،١٩٩٢،ص ٣٩-٤٢ ، سعاد الطائي، أعلام أمراء البلاط المغولي، دراسة في دورهم العسكري والسياسي والإداري والاقتصادي والعمراني (٦٢٤-٦٧٣هـ/١٢٢٧-

منهم حراس الخيمة أن يمروا بين نارين متقدتين على جانبي الخيمة (النيران المقدسة كما يطلق عليها المغول)، وعندما اعترضت البعثة في البداية، أوضح لهم المغول أن هذه إجراءات احترازية، قائلين " في حالة ما قمتم بأي عمل شيطاني عن عمد أو كنتم تخبئون سما فإن تلك النار ستحرق تأثير ذلك"، واضطر أفراد البعثة إلى تنفيذ كل ما طلب منهم حتى لا يكونوا موضع شك[١].

١٢٧٤م)، بغداد، ط١، ٢٠١٤م، ، ص ١٦، هامش (٦)، ص١٧، هامش (١). راجع أيضا:

Yule, Cathay, vol.1, p.152

* أما عن باتو : ولد عام ١٢٠٥/ ٦٠٢هـ وهو أكبر أبناء جوجي أكبر أبناء جنكيز خان ، وكان يدعى صاين خان أي الملك المجيد، و صامر خان أي الملك المغير،وكان مشهودا له برازنته ورجحان عقله وكثرة فضله، وكان ذا خدعة ودهاء، أما عن هيئته فكان جسيما، وجهه مائل إلى الحمرة ، متبسما . لمزيد من التفاصيل عنه راجع : الهمذاني، من أوكتاي، ص ١٠٨ ، الرمزي، تلفيق الأخبار، ج١، ص٣٦٤ – ٣٦٦، ٤٠١ – ٤٠٢، ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد الحضرمي ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، الخبر عن دولة التتر تاريخ المغول من كتاب العبر، تحقيق ودراسة أحمد عمراني، دار الفارابي، د.ت ، ص ٢٠٣،راجع أيضا سعاد الطائي، أعلام ، ص١٤-١٩. راجع أيضا:

Dawson, mission,p.57

[١]تعرضت أيضا بعثة وليم روبروك عام ١٢٥٣م لنفس الإجراءات في بلاط أوغول قاميش Oghul-Qaimish أرملة الخان كيوك ، خاصة وأنهم كانوا يحملون الهدايا لخان توفي بالفعل ، وبالتالي كان أية شيء خاص بالميت يتم تطهيره بالنار. للمزيد راجع:
الرمزي ، تلفيق الأخبار، ج١، ص ٣٩٤، هامش (٢)، راجع أيضا:
Dawson, mission,pp.53-56, The journey of Rubruck, pp.7-8.cf also: Saunders,J.J.,The History Of The Mongol conquests, London, 1971 ,p.93, Boyle ,John, " Turkish and Mongol Shamanism in the Middle Ages", in Folklore, Vol.83, No.3, (Autumn, 1972), pp.183-184.

وإذا توقفنا هنا قليلا لتفسير هذا التقليد أو تلك العادة عند المغول وهو مرور السفراء من بين نارين متقدتين فإن ذلك يرجع إلى إيمانهم أو عبادتهم لبعض مظاهر الطبيعة ومنها النار حيث يعتقدون بأن أي شيء، حيوان أو إنسان أو جماد، لا يطهر إلا بالنار، لذلك فهي إله منق لكل شيء من كل شائبة، أو أي ضرر أو أعمال سحرية أو سم أو شعوذة، أو من أي عمل قد يراد به إلحاق أي ضرر بالخان أو الأمير المغولي، أو بأي فرد منهم أو بحيواناتهم، فالنار تمنع ذلك، ومن ثم كانوا يحرصون بشدة على أن أي وافد إليهم من خارج مجتمعهم عليه المرور بين النارين المتقدتين على جانبي الخيمة، مهما كانت المكانة الاجتماعية لهذا الوافد ومهما كانت المهمة القادم بخصوصها سواء سياسية أو تجارية أو دينيه، فعليه المرور بكل ما يحمله معه بين تلك النار. وكانت عملية التطهير بالنار تتم على النحو التالي، كان المغول يشعلون نارين على جانبي الخيمة ويضعون رمحين بالقرب من النيران وكان هناك حبل معلق في أعلاهما، يربطون فيه أشرطة قماش سميك، وتحت هذا الحبل وأشرطته وبين النارين يمر الرجال والنساء والحيوانات والمتعلقات، وهناك سيدتان على كل جانب من النيران تقومان بقراءة التعويذات، وإذا سقط أي شيء على الأرض أو تعطلت إحدى العربات، يقوم المرتلون بالتقاطه وقراءة التعويذات عليه، وهذا الطقس كان مهما للغاية في حالة الأفراد الناجين من حادث، ومتعلقات الشخص الذي صعقه البرق[١]

---

[١] الرمزي ، تلفيق الأخبار، ج١، ص ٣٩٤، هامش (٢) ، سعد الغامدي ، المغول بيئتهم الطبيعية ، ص ١٢٩، راجع أيضا:

Dawson, mission,p.69, The journey of Rubruck, p.30.Cf also:

* كان المغول يعبدون مظاهر الطبيعة كالماء والشمس والقمر ، فعندما يكون القمر هلالا، أي في أول ليلة من ليالي الشهر، أو عندما يصير بدرا، فإن الشخص المغولي يشرع في أي عمل أو مهمة يريد أن ينجزها ، لهذا فإن المغول يشسمون القمر " الإمبراطور العظيم"، وينحنون

وقبل الدخول على باتو تلقوا بعض التعليمات منها الركوع للأمير، وألا يبدأوا الكلام وإنما عليهم الانتظار حتى يبدأ الأمير المغولي بالكلام، وضع أي متعلقات خاصة بهم على الجانب الأيسر من الخيمة، وكان من تقاليد المغول أيضا ألا ينكس الزائر رأسه في حضرة الأمير أو الخان المغولي، لأن ذلك عندهم نذيرا سيئا، وبالتالي كان يسمح للزائر أن يرفع رأسه و ينظر إلى وجه الخان. على أية حال، كان هناك مكان مخصص في وسط الخيمة وضع فيه تمثال ذهبي لجنكيز خان، وقد طلبوا من البعثة الانحناء له، ولكن البعثة رفضت الركوع للتمثال، وقد تم إجبارهم على الاكتفاء بحني رؤوسهم[١]، وهنا يقول كاربيني أنه على الرغم من أن المغول يؤمنون بإله واحد – تنغري Tengri*- يتربع فوق السماء الزرقاء، وهو خالق لكل الأشياء المحسوسة منها وغير المحسوسة، عن طريقه يموتوا ويحيوا إلا أن ذلك لم يمنعهم من أن يكون لديهم أصناما يعبدونها ويتبركون بها، يصنعونها من اللباد أو النحاس أو الذهب أو غيرها من المواد واضعين إياها أمام خيامهم، وكان من ضمن هذه الأصنام صنما صنعوه لمؤسس الإمبراطورية المغولية جنكيز خان،

إليه تقديسا وتبجيلا، وذلك بثني الركبتين، ثم يصلون له. وكان المغول يسجدون للشمس عند طلوعها، وكانوا يعتقدون أن القمر هو ابن الشمس، ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٠٠، ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب، ج ٧، ص ١١٨.انظر أيضا: الغامدي،المغول بيئتهم الطبيعية،ص١٢٩

[١] وربما يعود ذلك إلى عبادة الأسلاف عند المغول، حيث كان من معتقداتهم تقديس أرواح أجدادهم، وكانت كل أسرة لديها تمثال يمثل أرواح أجدادهم مزين بالزخاف ومثبت في زاوية مرئية من مدخل الخيمة ، يقوموا من آن لأخر بالركوع والسجود لها إجلالا للشخص المتوفي وإحياء لذكراه . للمزيد عن ذلك الموضوع راجع:

Dawson, mission, p.9,p.56,p.140; The Narrative of brother Bendict,p.80, The journey of Rubruck, p.34,note(3); Dawson, mission,p.56, cf also: Saunders,The History Of The Mongol,p.93

ومنهم من يضعون هذا التمثال في أحد جانبي الخيمة، ومنهم من يضعونه على عربة من العربات الحربية القديمة أمام المسكن، أما الرؤساء والقادة يخصصون له مكان مقدس في منتصف خيمتهم، ويقدمون له العديد من الهدايا والخيول التي لا يجرؤ أحد على ركوبها حتى موتها، كما يقدمون له حيوانات أخرى، وعندما يذبحون تلك الحيوانات لأكلها، فإنهم لا يكسرون عظامها، بل يحرقونها في النار، وكان المغول ينحنون لهذا التمثال باتجاه الجنوب، وكان حكام المغول يجبرون زائريهم على الانحناء إلى تمثال جنكيزخان(١).

(1) Dawson, mission, p.9,p.56, The Narrative of brother Bendict,p.80, The journey of Rubruck, p.34,note(3),CF ALSO: Jackson, "The Mongols and Europe",p.704, Boyle., J.A, " A form of Horse Sacrifice A mong the 3th and 14th century mongols, central Asiatic journal, 1965,x,3-4,pp.145-150

راجع أيضا: ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج١٠، ص٤٠٠، العمري (ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحي ت ٧٤٩- ١٣٤٨) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سليمان الجبوري،بيروت، ١٩٧٢، ج٣،ص١٢٤، القلقشندي، صبح الأعشى ، ج٤، ص ٣١٠ ، ماركو بولو، ج٢، ص١٩٥،الغامدي، المغول، ص١٢٧-١٢٨، هارولد لامب، جنكيز خان وجحافل المغول، ص ١٥٤

كان المغول يقدسون جنكيزخان وأسرته، على اعتبار أنه خان سماوي ومنفذ لإرادة الآلهة على الأرض، ويبدو هنا أن المعتقد المغولي يحاكي ما هو موجود عند الصينيين حيث ينظرون للإمبراطور على أنه ابن السماء وعليه فإن الخان ابن السماء حسب النموذج الصيني، أي أن الخان هو مبعوث أو ممثل من السماء -الإله . راجع: ميرسيا إلياد، " تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، دمشق، ١٩٨٦، ط١،ج٣،ص١٠

* تنغري (تنكري أو تنجري) هى كلمة تركية مغولية تعني الإله الحامي أو الإله الخالد أو الرب المعظم أي الإله السمائي السرمدي الوجود وهى كلمة مرادفة للفظ الجلالة "الله" راجع : الغامدي ، المغول،.ص١٢٤، هامش(٣)

ومما تجدر الإشارة إليه، أن مصير من كان يمتنع من السفراء والزائرين عن الانحناء لتمثال جنكيز خان هو الموت، مثل ما حدث مع الدوق ميخائيل* من كبار أدواق روسيا، عندما كان في زيارة لباتو، وعلى الرغم من أن ميخائيل لم يمتنع عن المرور بين النار من الجانبين، إلا أنه عندما أمره باتو بالانحناء ناحية الجنوب لتمثال جنكيز خان، فإن الدوق رفض ذلك قائلا: "سأكون سعيدا بالانحناء إلى باتو وحاشيته، ولكن لا انحني لصورة شخص ميت، لأن عقيدتنا نحن المسيحيين لا تأمرنا بذلك"، وعندما أخبروه المترجمين عدة مرات بالانحناء للصنم و رفض تماما، وهنا هدده باتو بالقتل إن لم ينحني للتمثال، ولكن الدوق أصر على موقفه، وهنا أرسل له باتو واحد من حاشيته ظل يركله في بطنه من ناحية القلب حتى ضعف تماما، وفي تلك اللحظة حاول أحد جنود الدوق أن يشد من أزره، وشجعه أن يظل ثابتا على موقفه، قائلا له "هذا العذاب المؤقت سوف يتبعه فرح أبدي عند الرب"، وهنا أمر باتو بقطع رأسيهما[١]

---

[١] الرمزي، تلفيق الأخبار ، ج١، ص٣٨٥ راجع أيضا:

Dawson, mission,pp.9-10

* الدوق ميخائيل Michael of Chernigov(١١٨٥ – ١٢٤٦م) : هو أمير روسي من أسرة روريك ، كان حاكما لمدينة تشيرنيجوف (١٢٢٣- ١٢٤٦م)، التي أصبحت تابعة للمغول وتحديدا لأمير القبيلة الذهبية باتو بن جوجي ، ولكن كان ولاء وإخلاص ميخائيل للأمير المغولي باتو موضع شك ، لأنه كان لاجئ في الغرب ، وابنه Rotislav متزوج من أميرة مجرية، لذلك من المحتمل أن رفض ميخائيل الانحناء تكريما للزعيم جنكيزخان كان يعتبر دلالة على عدم الولاء السياسي ، ويبدو أن استشهادهما (ميخائيل ورفيقه) قد حدث أثناء وجود بعثة كاربيني في قراقورم في سبتمبر ١٢٤٦م . كما يذكر أن الدوق ميخائيل ورفيقه تم إكرامهما دائما كقديسين وشهداء من قبل الكنيسة الروسية. راجع: الرمزي، تلفيق الأخبار، ج١، ص ٣٨٤- ٣٨٥

Dawson, mission,p.10 and Note (1)

ويستكمل كاربيني قائلا أنه عندما وصلوا إلى خيمة باتو سألهم وكيله (خادمه) Eldegai عن الهدايا التي أحضرتها البعثة للأمير المغولي، والواقع أن البعثة لم تحمل أي هدايا من البابا للأمير، ولكن عندما عرف الراهب أن تقديم الهدايا يعني تبجيل وتوقير باتو، قدم لهم بعض الهدايا من الأشياء التي كانت معهم والتي كانوا قد اشتروها من أموال الصدقات التي منحها لهم المؤمنين (المسيحيين) في البلدان التي مروا بها، فقدمت البعثة هدية عبارة عن أربعين فراء من السمور (القندس)*، و ثمانين فراء لحيوان الغرير، كما طلب منهم الانحناء لباتو عند الدخول إليه، ثم سألهم عن أسباب مجيئهم لبلاد التتار[١]، وردت عليه البعثة قائلة "نحن مبعوثين السيد البابا، سيد وأب المسيحيين، هو الذي أرسلنا للملك والأمراء وكل التتار، لأنه يرغب في أن يكون كل المسيحيين أصدقاء للتتار، ويعيشون في سلام معا، فضلا عن ذلك فإنه يرغب في أن تكونوا عظماء أمام الرب في السماء، ولهذا فإن السيد البابا يحثكم من خلالنا ومن خلال خطابه أن تصبحوا مسيحيين، وتعتنقوا عقيدة سيدنا يسوع المسيح حتى تكونوا في أمان، فضلا عن ذلك فالسيد البابا يندهش بشدة من المذابح التي يقوم بها التتار وخاصة ضد المسيحيين المجريين

لمزيد من التفاصيل عن هذا الأمير وسلالته وعلاقتهم بالمغول راجع:

Martin Dimnik, The Dynasty Of Chernigov (1146-1246), Cambridge University Press, New York,2003,pp.268- 374

[١] الرمزي ، تلفيق الأخبار، ج١، ص ٣٩٤، هامش (٢). انظر أيضا:

The Narrative of brother Bendict the pole,in Dawson,mission,p.80, Dawson, mission , pp.55-56 ,The Journey, pp. 9-10

* السمور هو نوع من الحيوانات سوداء تشبه القط يتخذ من جلده فراء غالي الثمن يسمى ب(الدارج) أو (الدواج)، ومنها الأسود والأشقر. انظر: ابن منظور(أبو الفضل كامل الدين محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت،١٩٩٣م، ج٤، ص٣٧٦، إيمان الدباغ، نظم المغول، ص ٦٧، هامش (٣)

والمورافيين والبولنديين الذين هم رعاياه، ونظرا لأنهم لم يتسببوا في أي ضرر لكم، أو حتى حاولوا فعل ذلك، ولأن الرب كان مستاء بشدة لما يحدث، ومن ثم عليكم تجنب مثل تلك الأشياء في المستقبل، وعليكم أن تكفروا عن أعمالكم السابقة" *، كما ذكرت البعثة لهم أن البابا يريد منهم أن يكتبوا له مرة أخرى عن الذي يرغبون في تنفيذه في المستقبل، وما هى نواياهم[١]

كان على البعثة الالتزام بعدم لمس عتبة مسكن باتو (حبال الخيمة)، لأن ذلك عقوبته الإعدام[٢]، وأن يدخلوا حفاة الأقدام عراة الرؤوس، وعندما دخلوا كان عليهم الانحناء للأمير المغولي، الذي تحدث معهم وهم راكعين على ركبهم، ثم سلموه الخطاب وطلبوا مترجمين مؤهلين لترجمة الخطاب، وتحدثوا عن الهدف من بعثتهم، بعد ذلك جلسوا على اليسار، وتلك كانت عادة متبعة مع السفراء ؛ أنهم في حين ذهابهم للإمبراطور المغولي يجلسون على اليسار من الخان أو الأمير المغولي، وعندما تؤخذ رسائلهم وتنتهي مهمتهم ويستعدون للرحيل ينتقلون إلى اليمين[٣].

---

[١] الرمزي ، تلفيق الأخبار، ج١، ص ٣٩٤، هامش (٢) ،راجع أيضا:

Dawson,mission, pp.53-54,The Joureny Of Rubruck , pp.6-7,Victor, Histoire ,p. 30,31, Richard, La Papaute, p.70

* كتب البابا اثنين من الخطابات واحد في ٥ مارس عام ١٢٤٥م، ويحثهم من خلاله على اعتناق المسيحية، والثاني في ١٣ مارس ويعبر فيه عن استيائه من غزوهم لشرق أوربا. انظر:

Dawson,mission, pp.73-76

[2] Dawson, mission , p.56

راجع أيضا الرمزي ، تلفيق الأخبار، ج١، ص٤٣٨

[٣] كان الجلوس على الجانب الأيسر من الشخص المضيف هو دلالة على التقدير والاحترام في الصين ، عكس ما كان موجودا في منغوليا والتبت فإن الضيف كان يجلس على يمين المضيف.، ولكن نظرا لتأثر المغول بالصينيين كان القادم إليهم يجلس على اليسار، وهم

وبعد ما تم ترجمة الخطاب إلى اللغة التتارية و قرأه باتو بعناية شديدة[١]، سمح لهم بالانصراف إلى مسكنهم، وفي أول ليلة لهم لم يمدوهم بأية طعام سوى بعض الدخن في وعاء[١].

كانوا مرتبطين في ذلك الطقس بحركة الشمس ، فاليسار هى الجهة المقابلة لشروق الشمس، وبالتالي هو الموضع الأكثر تكريما . راجع:

The journey of Rubruck, p.10,note(1), Rachewiltz, Papal Envoys ,pp.94-95

كان لدى المغول بعض الأمور التي يتطيرون منها و يعتبروها من الآثام التي يعاقب عليها المرء مثل لمس السكين بالنار، أو استخراج اللحم من المرجل بالسكين أو لتقطيعه، ، وحتى تقطيع الخشب بالفأس بالقرب من النار، لأنهم يعتقدون أنه لو حدثت مثل تلك الأشياء فإن النار تسقط من السماء (الرعد والبرق) على الرجال والأغنام، أيضا أن يتكأ المرء على السوط الذي يجلد به الحصان، و ضرب الحصان لكبح جماحة، أيضا لمس السهام بالسوط مرة أخرى لاصطياد أو قتل صغار الطيور، وأيضا ضرب الحصان باللجام، وكسر عظمة بعظمة أخرى، ، وسكب الحليب أو أي من المشروبات أو إهدار الأطعمة على الأرض، أو تمرير المياه داخل المسكن ، فإن فعل المرء تلك الآثام عن قصد فإنه يقتل ، أو عليه دفع غرامة مالية كبيرة للكاهن (العراف) لكي يقوم بتطهيره هو ومسكنه وممتلكاته من خلال النار المقدسة، وقبل تنفيذ هذا التطهير لا يجرؤ أي شخص على دخول المسكن أو أخذ أي شيء منه ثانية، وإذا أي شخص أخذ لقمة وكان غير قادر على ابتلاعها ، وبصقها من فمه، يتم عمل حفرة تحت مسكنه ويتم جره لتلك الحفرة وإعدامه دون أي رحمة. وكذلك عدم وضع مال الميت في خزانة الدولة لأنهم لا يتفائلون به (الجويني ، جهان، م١ن ص٧٣، ٢١٦، السباعي ، عطا الملك ، ص ٢٣٧). ومن الأمور المحرمة في القانون المغولي هو عدم استحمام الانسان في الربيع والصيف نهارا،وعدم غسل اليد في الغدير، وكذلك عدم حمل الماء في أواني من الذهب والفضة، وعدم نشر الملابس المغسولة في الصحراء؛ لأن ذلك في زعمهم يسبب زيادة الرعود والصواعق التي يفرون منها. انظر الهمذاني، من أوكتاي، ص٧٣)

Dawson, mission,p.11, The journey of Rubruck, p.240,note(2),p.241

[١] كان مترجم بعثة كاربيني من الروس ، وقد أحضرته البعثة معها أثناء مرورها بروسيا في طريقها صوب بلاد المغول. راجع:

وصف كاربيني خيمة باتو بأنها فخمة وعظيمة بشكل يلفت الانتباه، ولديه حراس على أبواب الخيمة، ولديه عدد من الموظفين مثلما يوجد عند الأباطرة في الغرب الأوربي، ويجلس باتو على كرسي عالي كالعرش ومعه إحدى زوجاته، أما باقي الحاضرين سواء من إخوته و أبناءه وعدد من النبلاء كانوا يجلسون في المنتصف على مقعد أدنى كرسي باتو، أما البقية يجلسون على الأرض خلفهم الرجال على اليمين والنساء على اليسار. وذكر كاربيني أن باتو كان لديه خيام كتانية غاية في الجمال والاتساع كتلك التي كانت عند ملك المجر(٢).

وذكر الراهب أنه لا يمكن لأي شخص أن يقترب من خيمة باتو إلا إذا تم استدعاؤه، أو كان بناء على رغبة باتو، باستثناء بعض أفراد أسرته، وفي الوسط بالقرب من باب الخيمة توضع طاولة عليها مشروبات في أواني من الذهب والفضة، ومن عادة باتو أو أي قائد مغولي آخر أن يبدأ الشراب مع الغناء والعزف على القيثارة، فقد كانت الموسيقى مصاحبة لكل مناسباتهم، فكان الجميع يرقصون على أنغام القيثارة، وعندما يضع الأمير المغولي الكأس على شفتيه ينحني جميع الأعيان والأمراء على ركبهم أمامه حتى ينتهي منه، ويتكرر ذلك في كل مرة يقدم فيها الأمير المغولي على الشراب(٣).ومن الشخصيات التي صادفتها البعثة في بلاط

The journey of Rubruck, p.10

(1) Dawson, mission,pp 54-56, The journey of Rubruck,pp. 7-8, p.10

(2)Dawson, mission,p.57, The journey of Rubruck, p.10,cf also: Rachewiltz, Papal Envoys,p.94, Saunders,The History Of The Mongol,p.93

(3)Dawson, mission,p.57, The journey of Rubruck,p p.10- 11,cf also: Rachewiltz, Papal Envoys ,p.94

كانت الموسيقى مصاحبة لكل مناسباتهم، فكان الجميع يرقصون على أنغام القيثارة. راجع: المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال،ط١، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٠م ، ج٢، ١٤٣، راجع أيضا : إيمان الدباغ، نظم

باتو هو ابن الدوق الروسي Jerozlaus دوق سوسدال، وكان يرافقه فارس روسي يدعى Sangor، وقد استفادت بعثة كاربيني من هذا الفارس حيث عمل كمترجم لهم في بلاط باتو[١] .

ذكر كاربيني أنه على الرغم من أن باتو يتصف بالقوة وشدة البأس والقسوة على جنوده في الحروب حيث يخافونه جميعا، إلا أنه يتعامل مع رجاله في أوقات السلم بشكل طيب، كما ذكر كاربيني أن باتو أو أي أمير مغولي عندما يخرج في أوقات السلم يحملون فوق رأسه عصا بخيمة كبيرة (مظلة) ويتم نفس الشيء مع زوجته. ولكن على الرغم من مكانة ونفوذ باتو إلا أنه لا يستطيع أن يوافق على كل ما يطرح أمامه من قضايا، لأنه بعد ترجمة خطاب البابا من خلال مترجمين مؤهلين، وبعد السماع لما ورد في الخطاب وفحصه بدقة[٢] تم استدعاء البعثة إلى الأوردا حيث أبلغهم الخادم أن سيده يطلب منهم التوجه صوب الخان كيوك Kuyuk

---

المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين- الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، عمان ، ٢٠١٩ ، ص٨٢ ، جورج لاين ، عصر المغول،ترجمة تغريد الغضبان، مراجعة سامر أبو هواش، أبوظبي:هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة،كلمة،٢٠١١م ص ٢٤٩

Howorth.,H.H, history of the Mongols from the 9-19 century,London,1880, vol.1,p.42

(1) Dawson, mission,p.70

(2) Dawson, mission,p.56, The journey of Rubruck,p.10

يذكر الرمزي أن خطاب البابا تم ترجمته باللغة اللاتينية والسلافية والتتارية ثم قرأه باتو . تلفيق الأخبار، ج١، ص٣٩٥ ، الهامش، وهو ما يؤكد عليه كاربيني إذ يذكر أنهم طلبوا إدخال المترجمين الذين جاءوا معهم لترجمة رسائل البابا والتي تم ترجمتها باللغة الروسية والعربية والتتارية، وبعد ذلك تم تقديمها لباتو.

(٦٣٩- ٦٤٣هـ / ١٢٤١/١٢٤٢- ١٢٤٥م) في قراقورم، وأنه سوف يتم احتجاز عدد من أفراد البعثة على أن تستعيدهم البعثة أثناء مغادرتها لبلاد التتار[١].

وبعد تزويد البعثة بعدد من الحراس اتخذت طريقها صوب قراقورم مقر الخان المغولي، ويبدو أنهم وصلوا في وقت قياسي حيث يذكر كاربيني أن سبب وصولهم بسرعة إلى بلاط الخان يعود إلى أنهم كانوا يقوموا بتغيير الخيول التي يمتطوها عدة مرات في اليوم الواحد*. وفي هذا الصدد ذكر كاربيني أن سفراء المغول الذين يرسلهم الخان إلى أي مكان، فإن الخان الزم التتار بإعطائهم الخيل والمؤن دون إبطاء، وكذلك الحال مع السفراء القادمين من البلاد الأخرى للبلاط المغولي، فإنه يجب إمدادهم بالخيول والعربات والمؤن أيا كانت الجهة القادمين منها[٢]

---

(1) Dawson, mission,p.57, The journey of Rubruck, p.11,Cf.also,Richard, La Papaute, p.220, Saunders,The History Of The Mongol conquests,p.93

ذكر بندكت البولاندي أنهم غادروا الأمير باتو بعد أن ألزمهم بلف أرجلهم بضمادات(تدثر أعضائهم بعصابات) حتى يتحملوا السفر المستمر. راجع:

The Narrative of brother Bendict,p.80

[٢]الرمزي، تلفيق الأخبار، ج١، ص ٣٩٦، الهامش، الهمذاني ، جامع التواريخ من أوكتاي، ص ١٧٥- ١٧٦.

Dawson, mission,p.,27,pp.50-52,p.61,Note (1), p.81,The journey of Rubruck, p.19,note (1), Rachewiltz, Papal Envoys to the great Ghans,London, 1970,p.96, Saunders,The History Of The Mongol conquests, p.94

ذكر كاربيني أنهم غادروا معسكر باتو في ١٨ أبريل عام ١٢٤٦ م ، بينما يذكر بندكت البولاندي أن ذلك كان في ١٠ أبريل، كما ذكر بندكت أنهم دخلوا بلاد التتار حيث الخان المغولي في ٢٢ يونيو . راجع:

The Narrative of brother Bendict,p.81, The journey of Rubruck, p.35, Note (3)

وعندما وصلت السفارة إلى معسكر كيوك خان،كان الخان في خيمته التي كان يطلق عليها السره اوردوSira Orda(الخيمة الصفراء) وهى المسكن الدائم للخاقان، وذكر كاربيني أنها سميت بذلك لأن اللون الأصفر كان هو المفضل في البلاط الإمبراطوري، وهى أكبر معسكرات الخاقان وكانت على بعد نصف يوم رحلة من قراقورم، وهى المقامة في مكان يدعى Ormektua [١].

واستكمل كاربيني وصفه لأوردا كيوك بأنها كانت مزينة من الخارج بمسامير ذهبية، وداخلها كان موشى ومبطن بالنسيج، و كانت لها ثلاث مداخل مثل الأبواب، واحد في المنتصف وهو الأكبر والأكثر اتساعا من الآخرين وهو دائما مفتوحا بدون أي حارس؛ لأن الخاقان بمفرده هو الذي يدخل ويخرج منه، وغير مسموح لأي شخص بالمرور منه، وإذا دخل أي شخص منه فإنه سوف يقتل بلا رحمة، أما المدخلين الجانبيين كانا مغلقين بالقضبان، وعليهما حراس شديدي

غادرت البعثة ساراي في أبريل، ووصلت إلى أوردا كيوك بالقرب من قراقورم في ٢٢ يوليو،أي أن الرحلة من معسكر باتو إلى معسكر كيوك وهى تقدر بحوالي ثلاثة آلاف ميلا استغرقت الفترة من ١٥ أو ١٨ أبريل حتى ٢٢ يوليو ١٢٤٦م .انظر:

The Narrative of brother Bendict,p.79, Cordier,Les Chrestianism,p.71; Dawson, mission ,p. 50-52 , Saunders,The History Of The Mongol conquests, p.94

[1] Dawson, mission,p.62, The journey of Rubruck, pp.20-21, The Narrative of brother Bendict,p.81

كما ذكر كاربيني أن الإمبراطور أوكتاي اعتاد أن يمر في الصيف من هناك، حيث كانت ترفع سواري في نهايتها خصلات من الصوف الأحمر القرمزي يسموا Tughs . راجع:

Dawson, mission,p.5,The journey of Rubruck, p 21, note(1)

القسوة يراقبونهما وفي أيديهم السلاح، ويدخل الرجال منهما برعب شديد خوفا من العقوبة المحددة إذا ارتكبوا أية خطأ[١].

وفي اليوم الأول من وصول البعثة تم تسليم كيوك الخطاب المترجم مع ما أرسله باتو، وقد أمر الخان بإعطاء البعثة خيمة ومؤن، وتلك هى عادة التتار في استقبال المبعوثين وخاصة حاملي الهدايا، وربما كان أمر كيوك لرجاله بحسن استقبالهم لاعتقاده بأنهم قادمين كمندوبين عن بلادهم لتقديم فروض الولاء والتبعية للخان، على أية حال، أشاد كاربيني بمعاملة رجال كيوك حيث عاملوهم في البداية أفضل من أي سفراء آخرين. والواقع أن كيوك لم يستدعيهم ؛ لأنه لم يتم انتخابه بعد ولم تستقر خلافة العرش عليه[٢] إلا أن كل الشواهد كانت تؤكد اختيار كيوك، لأنه متى غادر الخيمة غنوا له، وهو خارج الخيمة يحنون له قضبان رائعة أعلاها صوف قرمزي(سواري Tughs) [٣]

وبعد أن أقامت البعثة في السره اوردا حوالي خمسة أو ستة أيام، أرسلهم كيوك لأمه توراكينا خاتون، والتي أصبحت وصية على العرش بعد وفاة زوجها

---

(1) Dawson, mission,p.62, The journey of Rubruck, p.20, The Narrative of brother Bendict,pp.81-82

(٢)ذكر كاربيني أن أي أمير لن يتولى السلطة إلا بالانتخاب .انظر:

Dawson, mission,pp.25-26

الهمذاني ، من أوكتاي، ص ٦١، الرمزي، تلفيق الأخبار، ج١، ص ٣٩٦

يذكر الهمذاني أن السره أوردو الخاصة بالخان أوكتاي كانت على بعد رحلة قدرها أربعة أيام من قراقورم. المصدر السابق

(3) Dawson, mission,p.62, The journey of Rubruck, pp.20-21

الخان أوكتاي عام ١٢٤١م[١]، حيث انعقاد الاجتماع الرسمي (القوريلتاي) في البلاط، وكانت توراكينا في قصر عظيم له باب كبير، ويقوم بحراسة الباب عسكر كثيرة بأيديهم سيوف مجردة من أغمادها، وقد أخذوا أفراد البعثة إلى أم الإمبراطور، بعد أن أمروهم بالسجود للسراي(القصر)، وهناك شاهدت البعثة مدى انشغال الوزراء والأمراء والعسكر في تجهيز لوازم جلوس كيوك خان على العرش، والذي يعتبر من أهم المناسبات عند المغول، ثم أمروا البعثة بالانتظار والتمهل فظلت البعثة حوالي أربعة أسابيع ممتعة على حد قول كاربيني، ثم بعد ذلك نقلوهم إلى الأوردا المذهبة حيث كانت تجرى عملية الانتخابات[٢].

وبداخل السياج الدائري للمعسكر المغولي أقاموا سرادق وصفه كاربيني بأنه مصنوع من المخمل الأبيض، وهو مكان اتسع لحوالي ألفين شخص، وقد تم إحاطته بحواجز خشبية تم تزيينها بتصاميم مختلفة وله إثنين من البوابات الكبيرة، ومن خلال واحدة منهما يدخل الإمبراطور ويخرج، ولا يقف عليها أي حراس؛

---

[١]كانت توراكينا (توراجانا) خاتون هى تلك الإمبراطورة و الأرملة الغنية بحكم زواجها من الإمبراطور أوكتاي الذي توفي عام ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م وبعد وفاته أصبحت هى الوصية على العرش حتى اعتلاء ابنها كيوك العرش. للمزيد راجع:الهمذاني ،تاريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن، ص ١٧٦- ١٨٢، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ، ص٣-٤ .الرمزي، تلفيق الأخبار، ج١، ص ٣٩٦، الهامش، فاسيلي فلاديميروفيتش بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ، ١٩٨١م، ص١٧٦،و لمزيد من التفاصيل عن دور توراكينا خاتون في اعتلاء ابنها كيوك عرش الإمبراطورية المغولية.راجع : صلاح نوار، المرأة، ص ٥٩-٧١، انظر أيضا:

Dawson, mission,p 61,Note (1), The journey of Rubruck, p.19,note (1)

[٢]الرمزي، تلفيق الأخبار، ج١، ص ٣٩٦، الهامش راجع أيضا:

Dawson, mission,p.61, The journey of Rubruck, pp.18- 19

حيث لا يجرؤ أي شخص أن يدخل أو يخرج منها، أما البوابة الأخرى يدخل من خلالها كل من تم منحهم إذن بالدخول، وكان هناك حراس بالسيوف والأقواس، إذا اقترب أي شخص من الخيمة فيما وراء النقاط المحددة كان يضرب بشكل مبرح إذا تم القبض عليه، وإذا جرى بعيدا تطلق عليه سهام بلا رأس، أما إذا ركب فرسه وانطلق مسرعا فإنهم يطلقون عليهم اثنين من السهام التي لها رأس[١].

وصف كاربيني معسكر كيوك بأنهم في اليوم الأول كان كل الحاضرين يرتدون ملابس مخملية بيضاء، وفي اليوم الثاني ارتدوا ملابس مخملية حمراء، وفي اليوم الثالث ارتدوا ملابس مخملية زرقاء، وفي اليوم الرابع ملابس من الحرير المزركش Baldakinus * بشكل أنيق، وهنا اتفق كاربيني مع ما ذكره الجويني من أنه عند اجتماع القوريلتاي من أجل اختيار أوكتاي خاقانا كان جميع الحضور يرتدون كل يوم ثيابا جديدا ذات لون مختلف[٢]، كما ذكر بندكت أيضا أنهم كانوا يرتدون في اليوم الأول ملابس مذهبة، و في اليوم الثاني ظهروا يرتدون نوع من الحرير الأبيض الغالي المطرز بالذهب والفضة[٣].

وتحدث كاربيني أنه على بعد ثلاثة أو أربعة فراسخ من الأوردا (مسكن الإمبراطور)، أقيمت خيمة يطلقون عليها الخيمة الذهبية Altyn Orda [٤]، وكان

---

[1] Dawson, mission,pp.61-62, The journey of Rubruck, p.19 and note (2)

*Baldakinus، (٦٣٧هـ) أصله نسيج يصنع في بغداد.راجع :كرامرز .ج.أ، أخبار الصين والهند: تحقيق وترجمة للفرنسية جان سوفاجيه، دار بيبليون، باريس ، ٢٠٠٩م، ص٣٦

[٢] جهان كشاي ، ص٢٠١

[3] The Narrative of brother Bendict,p.81

[٤] اسم الخيمة الذهبية انتقل إلى المغول في الغرب بعد تفكك الإمبراطورية المغولية، واستخدمه المؤرخين الروس في عناوين سجلاتهم لخانية القفجاق، والتي عرفت في الأصل باسم القبيلة العظمى.

من المقرر أن يتم تتويج كيوك خاقانا فيها بشكل رسمي في **١٥** أغسطس، ولكن بسبب عاصفة ثلجية شديدة و برد قارص، تسبب ذوبانها في غرق أكثر من مائة وستين رجلا في هذا المعسكر وتم تجريف العديد من المساكن والممتلكات، ومن ثم تم تأجيل الاحتفال[١]، وهذه الخيمة كانت مدعومة بأعمدة ومغطاة بألواح ذهبية، وكانت مثبتة بعوارض خشبية أخرى بمسامير ذهبية، والسقف والجوانب الداخلية من الديباج المزركش، ولكن من الخارج كانت بمواد أخرى، ويذكر كاربيني أنه في **٢٤** أغسطس عام **١٢٤٦** م احتشد عدد كبير من المغول ووقفوا متجهين صوب الجنوب، ونسقوا فيما بينهم على أن يقف الشخص منهم على بعد رمية حجر من الآخر، ويستمرون في المضي قدما يذهبون أبعد فأبعد مرددين الصلوات(الابتهالات-الترانيم)، وقاموا بحني ركبهم ناحية الجنوب. ويذكر المبشر أنه اختلط عليه الأمر لأنه لا يعرف ما إذا كان هؤلاء يتلفظون بالتعويذات أو يحنون ركبهم للرب أم لآخر؟، وإن كان في موضع آخر أكد أنهم كانوا يحنوا ركبهم لكيوك، ولكن كاربيني ومن معه كانوا لا يرغبون في ثني الركبة، وبعد انتخاب كيوك، هم عادوا إلى السره أوردو مسكن كيوك ووضعوه على كرسي العرش، وركع الرؤساء أمامه، ويليهم كل الناس إلا كاربيني وبعثته، لأنهم كما قال الراهب ليسوا من أتباع المغول أو خاضعين لهم[٢]، وذكر الراهب أنه كان لا يسمح

Dawson, mission,p.63, note(1)

[١]عن ظروف الطقس وتنبؤات العرافين راجع:

Dawson,mission,pp.5-6, Rachewiltz, Papal Envoys ,p.99, Saunders,The History Of The Mongol, p.94

[٢]الهمذاني ،من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن، ص **٦١، ١٨٢- ١٨٤**، الرمزي، تلفيق الأخبار، ج**١**، ص **٣٩٦**، الهامش. انظر أيضا:

Dawson, mission,pp.62- 63, The journey of Rubruck, p.22 and note (2), Rachewiltz, Papal Envoys ,p.99

لأي مبعوث برؤية مراسم الانتخاب وتتويج الخاقان إلا إذا كان مرتديا ملابس بشكل يليق، حتى أن الرهبان ارتدوا الديباج حتى يسمح لهم بالحضور[١].

وذكر الجويني مراسم اختيار كيوك خاقان وهو اتفق في كثير منها مع ما ذكره كاربيني، ففي بداية الاجتماع عرض الحاضرين على كيوك منصب الخانية ولكنه كان يمتنع عن قبول ذلك وربما كانت تلك من عادات خانات المغول وهو رفض المنصب أكثر من مرة بعد عرضه على الخان المرتقب، ثم القبول به بعد كثير من الإلحاح والتشجيع، عندئذ قام الأمراء جميعا رافعين قبعاتهم تحية وإجلالا، وفتحوا أحزمتهم، وتناولوا كؤوس الشراب، ثم أنهضه هردوا* ..... وآخر و أجلساه على العرش وركع كل من كان في المجلس وخارجه ثلاث مرات وأسموه ..... كيوك خان، وكما هم معتادين فإنهم تعاهدوا كتابة على أن يأتمروا بأمره، ولا يحيدوا عن قوانينه وأن يظل الحكم في ذريته،ودعوا له ثم خرجوا من القاعة وركعوا للشمس ثلاث مرات[٢].

واتفق كاربيني والجويني مع ما ذكره مؤرخ المغول رشيد الدين الهمذاني، حيث ذكر أنه عندما تم اختيار كيوك لعرش الخانية تم رفع العلم، فنزع جميع الأمراء قلانسهم من على رؤوسهم والذي كانوا يرتدونها بغرض الحماية، وحلوا أحزمتهم وأخذ أخا يده اليمنى وأخا بيده اليسرى، ومسك أحد أعمامه بحزامه وأجلسوه على عرش الخانية وكان ذلك في عام **٦٤٣**هـ / **١٢٤٥**م[٣]

---

[1] Dawson, mission,p.62, The journey of Rubruck, p.20

[٢] الجويني ، جهان كشاي ، ص **٢٥٧**

* هردوا هو الابن الأكبر لجوجي.انظر صلاح محمد نوار،المرأة ودورها في المجتمع المغولي:طبقا لمصادر المغول وقوانين الياسا، منشأة المعارف ، الإسكندرية، **١٩٩٩**م، ص**٤٤**

[٣] الهمذاني ، جامع التواريخ، ص **١٨٢**

كما وصف سيمون أوف كونتين Simon of Quentin أيضا احتفال تولية خاقان جديد عرش إمبراطورية المغول قائلا: (يجتمع كل البارونات ويوضع مقعدا مذهبا في المنتصف، حيث يجلس الخان عليه واضعين أمامه سيفا وقائلين له"نحن نريد، نحن نتوسل، نحن نأمرك أن تفرض سيطرتك علينا جميعا"، ورد عليهم قائلا: " إذا كنتم تريدون أن أحكمكم ينبغي على كل واحد فيكم أن يستعد لتنفيذ ما آمركم به، ومتى استدعيتكم تأتون، وأن يذهب الشخص منكم إلى أي مكان أرسله إليه، وتقتلوا أي شخص آمر بقتله"، ثم أجابوا "نحن كذلك"، ثم قال لهم "سيطرتي (سلطتي) لابد أن تكون بسيفي، وأنا قبلت القانية")، وقد اتفقوا على ذلك، ثم ألبسه الوزراء التاج، ثم أمسكوه من يده، ثم وضعوا قطعة من اللباد على الأرض ووضعوه عليها قائلين "انظر للأعلى وأدرك الرب، وانظر للأسفل (الأرض)، وانظر لقطعة اللباد التي تجلس عليها، إذا أنت حكمت ممتلكاتك جيدا (بالعدل والرحمة)، ووسعت من رقعتها، واتسم حكمك بالعدل، واحترمت

ذكر الهمذاني تلك الطقوس عند اختيار أوكتاي خانا للمغول (١٢٢٩- ١٢٤١م) حيث يقول "أن الأمراء جميعا بعد ما تم اختيار أوكتاي خاقآن رفعوا قلانسهم عن رؤوسهم، وألقوا بأحزمتهم على أكتافهم ، ثم أخذ جغتاي بيد أوكتاي اليمني، وأخذ تولوي بيسراه، وأمسك عمه أونجكين بحزامه، وأجلسوه على سرير الخانية، ثم رفع تولوي كأسا فرفع الحاضرين بدورهم كؤوسهم ، داخل البلاط وخارجه، ثم ركع الجميع داخل البلاط وخارجه ، وباركوا المملكة بخانية أوكتاي ، ولقبوه قاآن ، الهمذاني من أوكتاي ، ص٦، ص٣٠

ويذكر ابن العبري أيضا أنه بعد اختيار أوكتاي خانا قام المشاركين في القوريلتي "كشفوا رؤوسهم ورموا مناطقهم على أكتافهم ،وأخذ جغاتاي أخوه الكبير بيده اليمنى واوتكين عمه بيده اليسرى فأجلساه على سرير المملكة ولقباه قاان، ولزم له الغ نوين كأس شراب فسقاه ، وجثا كل من كان حاضرا داخل الخز كاه وخارجها على ركبتيه تسع مرات ودعوا له ثم برزوا كلهم إلى خارج وجثوا ثلث مرات حيال الشمس" تاريخ مختصر الدول، ص٢٤٥

أمراؤك كل حسب رتبته، سوف تحكم بمجد وعزة، وكل العالم سوف ينحني أمامكم(سيذعن لكم)، وسوف يعطيكم الله كل شيء يريده قلبكم، ولكن إذا فعلت خلاف ذلك سوف تكون بائسا ووضيعا وفقير للغاية لدرجة أن هذا اللباد الذي تجلس عليه لا يتركك حتى تغادر"، وبعد قول ذلك يقوم الأمراء المغول بوضع زوجته على اللباد، وبجلوس كليهما على اللباد يقوموا برفعهما من على الأرض مرددين بصوت وصيحات عالية:" إمبراطور و إمبراطورة كل التتار"، ثم سلموه الخزينة التي بقيت من والده[١].

وبخصوص تسليم الخان خزينة والده، فقد كان من طقوس المغول أن يأمر الخان بعد جلوسه على العرش بإحضار الأموال والخزائن والجواهر والأثواب، وتوزيعها على أبناء الملوك من نسل جنكيزخان يليهم الأحفاد ثم أمراء عشرة آلاف وحتى أمير العشرة ثم كل أعوان الملوك وأنصارهم وكتابهم وأرباب أعمالهم، ولم يحرم أي شخص حضر الاحتفال من نصيبه، حيث أخذ كل واحد منهم ما يليق به من العطاء، وعندما فرغ من إقامة الولائم وتوزيع المنح، كان الخان الجديد يأمر بتقديم الأطعمة ثلاثة أيام متتالية صدقة على روح جنكيزخان، ثم اختيار أربعين فتاة حسناء من نسل الأمراء الذين كانوا يلازمونه، وألبسوهن ملابس ثمينة، وزينوهن بالمرصعات والجواهر، وأرسلوهن على جياد أصيلة إلى روح جنكيز خان، ثم يقتلوهن ويقدموهن قربانا لروحه[٢].

---

[1] The Journey Of Rubrouck, p.21, note (1), Saunders,The History Of The Mongol, p.94

[٢] الجويني، جهان كشاي، ص٢٥٩، الهمذاني، من أوكتاي، ص ٣٠وهامش (١)
كانت وثنية المغول تظهر في عدة أمور منها اختيارهم الفتيات الحسناوات، ثم قتلهن وتقديمهن قربانا لروح الأباطرة ، ومن طقوسهم الغريبة أيضا قتل جميع الذين يصيبهم الحظ النكد بأن يصادفوا جنازة الإمبراطور أثناء نقلها إلى مقرها الأخير خشية أن يتسرب نبأ

بعد ذلك انتقل الخان إلى خيمة مخملية حمراء قدمها الخيتان Kitayans (الخطا)*، وأقيمت منصة شامخة من الألواح الخشبية حيث تم وضع تاج الخان المصنوع من العاج، وهو منحوت(محفور) بشكل رائع ومرصع بالأحجار الكريمة والذهب واللآلئ، وقد تم وضع مقاعد حول كرسي العرش، وهناك السيدات جلسن في مقاعدهن على اليسار، و على اليمين يجلس أولاد الخان وأولاد عمومته وبقية أبناء السلالة الحاكمة ولكنهم يجلسون على مستوى أقل ارتفاعا من الخان، بحيث تكون رؤوسهم عند مستوى قدميه، ويسري الأمر نفسه على القادة والرؤساء وزوجاتهم وأبنائهم الذين كانوا يجلسون على مقاعد في الوسط، وخلفهم جلس باقي الناس،الذين يجلس معظمهم على السجاد، وخارج الخيمة الملكية (القاعة) تتواجد حشود كبيرة من الناس للتهنئة و تقديم الهدايا[1].

موته قبل إعلانه رسميا .انظر: الجويني ، جهان، ص ٢٠١- ٢٠٣، ادوارد بروان ، تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدي، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، مصر، ١٩٥٩م، ص٥٦٧

[1]Dawson,mission, pp.64-65

جورج لاين، عصر المغول ، ص٢٤٨-٢٤٩

* الخطا: هم الخيتان أو قرة خيتاوي أو خيتاوي وكلها أسماء لشعب الخيتاي (سي-ليو) أو (سي – ليانو)، وهم قبائل تركية سكنت أقصى الصين ، وتعتبر الأجزاء الجنوبية من منشوريا هي موطنهم الأصلي ، وقاموا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بحملات حربية من أجل التوسع، فاستولوا على شمال الصين، كما أخضعوا شمال منشوريا، وبعد انتصارهم عام ١١٤١م/ ٥٣٦هـ على سنجر السلجوقي في معركة قطوان فرضوا سيطرتهم على تركستان وبلاد ما وراء النهر،وكانت عاصمتهم في "يلاساغون"، وكان لقب ملكهم "الكور خان" أي خان الخانات راجع: ابن الأثير ، الكامل، ج١٠،ص٤٠١-٤٠٢، أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص ٤٦-٤٧،سعاد الطائي، القراخانيون: دراسة في أصولهم التاريخية وعلاقاتهم السياسية ودورهم في الحياة العلمية (٣١٥-٦٠٧هـ/١٢١٠م)،

وبعد اختيار كيوك إمبراطورا، استمروا يشربون القميز(لبن الفرس) * طوال النهار حتى المساء، وكان شربهم يتم بشكل يلفت الانتباه، ثم تم استدعاء البعثة إلى الخيمة الملكية، وبعد دخولهم الخيمة وجدوا كيوك مرتديا تاجا متألقا في أردية رائعة جالسا وسط الخيمة على منصة مزخرفة بالذهب والفضة تعلوها مظلة، وحول حواف المنصة الأربعة كان يوجد أربعة مجموعات منفصلة من درجات السلم (الدرج) على بعد خطوات من المنصة، وكانت ثلاثة منها تقود إلى المنصة، التي في المنتصف حيث يصعد الإمبراطور منها وينزل، واثنين على الجانبين للنبلاء والرجال الأقل مكانة، أما الرابعة والتي كانت خلف الإمبراطور حيث اعتادت أم الإمبراطور وزوجته وأسرته أن يصعدوا منها[١]

دمشق، ٢٠١٦م، ص ٢٢، هامش (٢٢) إسماعيل الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي ، ط١، الكويت،١٩٨٤م، ص ٢٥

**الخيمة الذهبية والسيرا أوردا و الخيمة المخملية. انظر:

The journey of Rubruck, p.24,note(4)

(1) Dawson, mission,p.62, The journey of Rubruck, p.20, The Narrative of brother Bendict,p.82.

* وصف روبروك لبن القميز قائلا :" مذاقه لاذع للسان المرء أثناء الشرب، فله طعم كطعم الخل، وعندما يتوقف المرء عن الشرب فإنه يترك على اللسان مذاقا كطعم عصارة اللوز، يحدث لدى شاربه نشوة روحية وعقلية عجيبة ، وقد يثمل الرجل الضعيف الاتزان" أنظر:

Dawson, mission,pp.98-99

أما ماركو بولو فتحدث عنه قائلا: "وهم يشربون لبن الأفراس، الذي يعالجونه بطريقة تجعل فيه صفات النبيذ الأبيض ونكهته، وهم يسمونه في لغتهم كيمورس" رحلة ماركو بولو، ج١، ص١٣١

** كان كيوك مدمنا للشراب والنساء وهذا كان واضح عليه حيث ظهر وكأنه رجل عجوز وهو في الأربعينات من العمر، لذلك مات بعد أقل من عامين تقريبا من توليه العرش. راجع:

Rachewiltz, Papal Envoys, p.101

وتحدث الجويني أيضا عن مراسم الاحتفال بانتخاب كيوك خاقان واعتلائه العرش قائلا: "عندما جلس كيوك على العرش كان على يمينه الأمراء، وعلى يساره الخواتين، وكان المنظر عجيبا بهيجا لكثرة اللآلئ اللامعة والدرر الثمينة، وقام على أعمال السقاية كل غلام لطيف المظهر بنفسجي العذار، أحمر الخدين، لامع الوجنتين .....، وربطوا أحزمتهم في وسطهم واستقبلوا هذا اليوم بكؤوس الشراب، وأقداح النبيذ، وانطلق المغنون يغنون في حضرة ملك العالم، وأغلق الحاضرون أفواههم هيبة وتقديرا، واستمروا في فرحهم على هذا النحو حتى انتصف الليل وهم فرحون ويشربون، والأمراء يحيطون الملك خاضعين له داعين له، وحين أضحوا سكارى ركعوا أمام الملك ثناء ودعاء، واستأذنوا للخلود إلى النوم . وفي الصباح قدم أبناء الملوك والأمراء وعامة الناس إلى بلاط الملك يتبخترون منشرحي الصدور ومستبشرين، وعندما رغب الملك أن يخرج من خلوته ارتدى الحلل الملكية الذهبية، وتقلد التاج الملكي، وبخيلائه وكبرياءه أقبل يتمايل من خلف ستائر القصر تتبعه الرايات البراقة، وجلس على عرشه في بلاطه بحشمة ووقار، وشرع ينعم بإذن الدخول عليه الخاص والعام، وجلس كل واحد هادئا مكانه، وتمايلت الخواتين والمحظيات بثيابهن حين توافدت مواد السرور وكاسات الخمور، وتمايل الرجال والنساء والبنات والبنون على طرف الشمال كنسيم الشمال، وتدثروا بثياب وشيت باللآلئ .....، و أمدوا أيديهم إلى أقداح اللهو والسرور، وأنصتوا إلى ميادين الطرب .....، وهكذا مضى اليوم السعيد وتبعه سبعة من الأيام"[١]

وأكد كاربيني ما ذكره الجويني وهو أن المغول أقاموا وليمة (عيد اعتلاء الخان العرش) لعدة أيام اعتادوا فيها أن يشربوا القميز(خمير اللبن) دون توقف من

[١] الجويني ، جهان، ص ٢٥٧-٢٥٩

الصباح حتى المساء، بعدها كانوا يحضرون اللحم المطهي بدون ملح على عربات وكانوا يوزعون على كل أربعة أو خمسة من الرجال قطعة لحم، هذا خارج الخيمة، أما بداخلها كانوا يوزعون اللحم بمرق مملح كالصلصة[١].

وعلى الرغم من أن كاربيني لم يصف بشكل تفصيلي الأواني التي يشربون فيها الخمر، لكنها بالتأكيد لن تختلف عن الأواني التي استخدمت خلال تنصيب أوكتاي خانا حيث قال الهمذاني أن أوكتاي كان قد أمر الصياغ المهرة أن يصوغوا لمجلس الشراب أواني من الذهب والفضة على هيئة الحيوانات كالفيل والأسد والحصان وغير ذلك، وكان أمام كل آنية حوض من اللجين، حيث كان الشراب يسيل من منافذ تلك الحيوانات في تلك الأحواض، ويبدو أن خانات المغول كانوا يهتمون بأشكال آوانيهم حيث يصف روبروك أيضا نافورة للشراب في بلاط منكو خان (**١٢٥١ – ١٢٥٨م**) غاية في الروعة[٢].

---

[١] الهمذاني من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن)، ص **١٨٠ – ١٨٢**. انظر أيضا: الصياد، المغول في التاريخ ،ص**٣٣١**

Dawson, mission,p.63, The journey of Rubruck, p.22-23

يذكر الهمذاني ويتفق معه الجويني على أنه في أيام حفل تنصيب الخان كانت المأكولات والمشروبات ترتفع أسعارها ارتفاعا فاحشا، ويندر وجودها هى والأعلاف.انظر: الهمذاني، من أوكتاي، ص **١٨١**، الجويني ، جهان كشاي، م**١**، ص **٢٥٦**

[٢] الهمذاني ، من أوكتاي، ص **١٨٧**

كانت النافورة على شكل شجرة كبيرة من الفضة جعل أسفلها أربعة أسود من الفضة ، لها أنبوب بكل منها يخرج حليب الفرس الأبيض، وداخل جزع الشجرة أربعة أنابيب تصل إلى أعلاها حتى تنثني أطرافها لأسفل ، وجعل على كل طرف حية مذهبة يلتف ذيلها حول جزع الشجرة ، أحد هذه الأنابيب يصب النبيذ وأخر كارا قميز ،هو bal حليب الفرس المكرر، والثالث boal وهو شراب عسل النحل ، والرابع أرز مخمر يسمى Terracina تيراسينا ، وكل منها لها وعاء فضي أعد لتلقيه أسفل الشجرة بين الأربعة أنابيب الأخرى ، وعند منتهى ارتفاع الشجرة جعل ملاكا يمسك نفيرا، كما جعل تحت الشجرة سردابا يمكن

وبعد انتهاء المأكل والمشرب يأتي دور اللاعبين والراقصين ليتباروا في إدهاش الخان وإمتاعه بكل ما لديهم من مهارات وفنون فيلهو الجميع ويعم المرح والصخب والضحك، وعندما ينتهي الاحتفال يغادر كل إلى خيمته حيث كان يوجد إلى جانب الثلاث خيام المذكورة سلفا خيمة لكل زوجة من زوجات الخان من اللباد الأبيض، وهى خيام كبيرة وجميلة للغاية، وبعد الاجتماع اتجهت كل واحدة لخيمتها، و ذهبت أم الخان إلى خيمتها في اتجاه، والإمبراطور إلى خيمته في اتجاه[١].

وفيما يتعلق بالسفراء والهدايا القادمين بها، فقد شاهدت البعثة هناك حشد كبير من كل القادة و الرؤساء كل واحد منهم كان يركب مع حاشيته (أتباعه) بين التلال وفوق ممرات السهول الدائرية[٢]، وقدر كاربيني عدد السفراء والأدواق

لرجل أن يختبئ فيه، وأنبوبا يصعد إلى الملاك من وسط (قلب) الشجرة ، وتوجد خارج القصر حجرة تخزن فيها المشروبات ن حيث يقف الخدم استعدادا لصبها عندما يسمعون الملاك ينفخ في النفير، وعندما يسمع الرجل الملاك ينفخ في النفير ، وللشجرة فروع وأوراق وفاكهة من الفضة ، وعندما تقل المشروبات يطلب رئيس السقاة من الملاك أن ينفخ في النفير، وعندما يسمع الرجل المختبئ في السرداب ذلك ينفخ في الأنبوب الواصل إلى الملاك بكل قوة ، وهنا يضع الملاك البوق على فمه وينفخه نفخة شديدة الصوت، وعندما يسمع الخدم الذين في الغرفة ذلك يصب كل منهم شرابه في الأنبوب الخاص به، حيث تصبها الأنابيب من أعلى وأسفل في الأوعية المعدة لذلك،وهنا يأخذ السقاة المشروبات ويدورون بها في أنحاء القصر على الرجال والنساء.وعندما جاء وليم الباريسي صانع تلك النافورة ، أمر الخان بوضعها في المكان المناسب وتهيئتها لعمل الأمر بسلاسة. راجع:

Dawson,mission,pp.175 – 178, The journey of Wiliam Rubruck, pp.207 – 209

(1) Dawson, mission,pp.64-66, The journey of Rubruck, pp.24-25, Rachewiltz, Papal Envoys,p.100

(2) Dawson, mission,p.62, The journey of Rubruck, p.20, The Narrative of brother Bendict,pp.81-82

الذين جاءوا إلى إمبراطور المغول بحوالي أربعة آلاف شخص[١]، في حين ذكر بندكت أنهم شاهدوا حوالي خمسة آلاف من الأمراء والرجال العظماء، وإن كان بندكت في موضع أخر يقول أنه كان هناك حوالي ثلاثة آلاف سفير من مختلف أنحاء العالم حاضرين التتويج وحاملين معهم خطابات أو رودود على خطابات، أو الجزية والهدايا للبلاط المغولي[٢]، وذكر الجويني أن عدد الوافدين كانوا قرابة ألفين[٣].

وفي هذا الصدد أيضا أشار الهمذاني إلى كثرة أعداد السفراء قائلا "لم يبق بجوار المعسكر موضع للنزول، وكان الأكابر والأشراف يصلون تباعا من الأطراف والأكناف، بحيث لم يشاهد أحد مثل هذا الجمع من قبل، ولم يقرأ أيضا مثله في التاريخ"[٤]، وكان من ضمن الحضور قادة القبائل التركية والتتارية الذين خضعوا لحكم المغول، واثنين من أبناء ملك جورجيا، و أيضا سفير الخليفة في بغداد وهو قاضي القضاة فخرالدين، وأكثر من عشرة من قادة وحكام المسلمين، منهم أخو أمير حلب، ومن الموصل رسول بدر الدين لؤلؤ، ومنهم ممثلين عن علاء الدين صاحب ألموت *، ومنهم من يحملون الجزية، ومنهم من يحملون الهدايا، ومنهم من جاء ليعلن تبعيته لخان المغول، وأيضا حكام الأقاليم الذين استدعاهم

---

(1) Dawson, mission,p.62,

(2) The Narrative of brother Bendict,pp.81- 82

(٣) جهان كشاي ، م١، ص ٢٥٦، أشار أيضا الرمزي للشخصيات التي حضرت الانتخاب ومنهم علاء الدين صاحب ألموت، والكندسطبل أخو التكفور هيثوم ملك أرمينيا: الرمزي، تلفيق الأخبار، ج١، ص ٣٨١

(٤) الهمذاني ، من أوكتاي، ص ١٨٧

المغول* [١]، وجميعهم كانوا خارج السياج (السور) وكانوا يتلقون الشراب في نفس الوقت. ويذكر كاربيني أنهم التقوا هناك بالدوق الروسي جيروزلاوس Jerozalaus دوق سوسدال Susdal *، والذي كان خارج السياج كأفراد البعثة، و يذكر أيضا أن المغول كانوا يعطون البعثة البابوية والدوق الروسي أفضل الأماكن، وكان مع الدوق فارسا يدعى Tamer والذي عمل كمترجم لبعثة

---

[1] Dawson, mission,p.62, The journey of Rubruck, pp.20-21, Rachewiltz, Papal Envoys ,pp.99-100, Saunders,The History Of The Mongol,p.93

الهمذاني من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن، ص ١٩١- ١٩٢. راجع أيضا: عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥هـ/ ٨٢٠م – ١٢٤٣هـ/١٩٢٥م) ترجمة محمد علاء الدين منصور، مراجعة السباعي محمد السباعي، دار الثقافة والنشر، القاهرة ، ١٩٨٩م، ص٤١٢-٤١٤ ، الهامش

* قلعة ألموت حيث طائفة الإسماعيلية أو الملاحدة ويقل لهم الباطنية أيضا، وهم من بقايا القرامطة الخوارج، وأصحاب حسن بن صباح، بعد موت السلطان ملك شاه قويت شوكتهم ، وتغلبوا على عدة حصون، وخوصا حصن الألموت بالقرب من مدينة قزوين، وبث حسن أصحابه إلى الجهات ، فأتى قوم منهم سوريا وتحصنوا في الجبال المجاورة لطرسوس وعليهم أمير اسمه أبو طاهر ويعرف بشيخ الجبل يطيع للأمير الكبير الذي في بلاد فارس، ودامت سلطة الاسماعيلية من ٤٨٣-٦٥٣/ ١٠٩٠-١٢٥٥م.راجع ابن العبري،تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٧، هامش (١).

* ذكر الهمذاني أن الرسل خرجت إلى أطراف البلاد لدعوة الأمراء والأنجال وأمراء الميسرة والميمنة، فقدم من الشرق أونجكين مع ثمانين ولدا، وايلجيتاي، ومن ضمن من جاءوا من معسكر جغتاي قرا هولاكو، كما أوفد باتو بن جوجي إخوته..... للمزيد راجع : الهمذاني من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن، ص ١٨٠- ١٨١

كاربيني أمام كيوك سواء في ترجمة رسالة الإمبراطور للبابا أو في التحدث مع كيوك[١].

ومن الأمور التي لفتت انتباه الراهب هو مشاهدة المبعوثين وهم يقدمون العديد من الهدايا، واستعراض تلك الهدايا أمام جميع الحضور والتي كان منها هدايا من الحرير Samite [٢]، والديباج وحزام من الحرير مطرز بالذهب بشكل لولبي، وفراء ممتاز وأيضا مظلة شمسية مرصعة بالأحجار الكريمة * كتلك التي يحملوها فوق رأس الخان، كما أحضر له حاكم أحد الأقاليم عدد من الإبل المزينة بالديباج والسروج وعليها نوع من الوسائل(الأدوات) التي يمكن للرجال أن يجلسوا فيها (الهودج) وكانوا تقريبا حوالي أربعين أو خمسين، كما أحضر نفس الحاكم العديد من الخيول والبغال المغطاة بزخارف ودروع مصنوعة من الجلود أو من الحديد[٣]، ويستكمل كاربيني وصف مشهد الوفود و السفراء وهداياهم،

(1)Dawson, mission,p.62, p.67 , p.70, The journey of Rubruck, p.20,CF also: Rachewiltz, Papal Envoys ,p.100, Saunders,The History Of The Mongol, pp.93-94

* أما عن الدوق الروسي Jerozlaus دوق سوسدال ، فقد ذكر كاربيني أنه تمت دعوته من قبل أم الإمبراطور ، التي أعطته الأكل والشرب بيدها كنوع من الاحترام والتقدير، وبعد عودته إلى مسكنه مات على الفور وبعد سبعة أيام أصبح جسده رماديا مزرقا بشكل غريب، وهذا جعل الجميع يعتقدون أنه مات مسموما ؛ حتى يتمكن التتار من السيطرة بشكل حر وكامل على أراضيه مرة أخرى راجع:

Dawson,mission, pp.65-66

(٢) Samite : هو نسيج حريري أنيق (فخم) متشابك بخيوط ذهبية وفضية، كان يستخدم في الحياكة والتصميم (الديكور) فترة العصور الوسطى. انظر:

Dawson, mission,p.64.

(3)Dawson, mission,p.64, The journey of Rubruck, p.23, cf also: Rachewiltz, Papal Envoys,p.100

حيث يقول وهناك على ربوة تبعد بعض الشيء عن المعسكر المغولي كانت تقف أكثر من خمسمائة عربة مليئة بالذهب والفضة والملابس الحريرية، وقد تم تقاسم تلك الأشياء بين الخان والقادة، وكان كل قائد* أو رئيس يقسم حصته على رجاله وفقا لرغبته وما يراه مناسب. قد ذكر كاربيني في أكثر من موضع طلب المغول الدائم من حكام البلاد المختلفة التي سيطروا عليها أن يأتوا إلى الخاقان الأعظم وهم يحملون الذهب والفضة، وأشياء أخرى[١].

وعندما سأل موظفو كيوك عن هدايا بعثة كاربيني، أجابوا بأنهم استهلكوا كل ما كان معهم، ولم يوجد شيء يقدموه للإمبراطور، ويعلق كاربيني على ذلك بأن التتار يطلبون دائما الهدايا من السفراء القادمين إليهم، ومن لم يأت بهدية يعاملونه بازدراء، كما أنهم لا يقبلون هدية ضئيلة من سفير قادم من عند رجل ذو شأن قائلين "أتيت من عند رجل ذو شأن، وتعطي هدية ضئيلة"، ولكن من يريد النجاح لبعثته عليه تقديم هدايا أكبر، ومن ثم كان على بعثة كاربيني أن تقدم الجزء الأكبر من الأشياء التي أمدها بهم المسيحيون لاستخدامهم، خاصة و أن البعثة كان لديها علم بإلحاح المغول في طلب الهدايا، حيث يذكر كاربيني أنه أثناء تواجد البعثة في بولنده

---

* هى واحدة من الشارات الملكية في الشرق من العصور القديمة ، مثل تلك الشمسية التي تسمى chattra في اللغة السنسكريتيه، و chatta أو chhatr عند الهندوستان، ويتحدث ابن بطوطة عن شاهتر مرفوع على فيل سلطان السند، الذي كان من الحرير المرصع بالأحجار الكريمة، وكان له مقبض من الذهب الخالص. انظر: ابن بطوطة، الرحلة، ص.٤٤٩، ٤٦٠،٤٥٧،انظر أيضا:

The journey of Rubruck, p.23 note (3).

[1]Dawson, mission,pp.64, The journey of Rubruck, pp.23-24.

* هناك قادة الألف أي الذي يكون تحت يده ألف أو أكثر من المحاربين ، وهناك قائد المائة الذي يكون تحت إمرته مائة محارب ، وهناك قائد العشرة. راجع:

Dawson,mission, p.39

أعطاهم كونراد Conrad دوق لانسزيسكا Lencisca (Lenczy) وكراكو Cracow، عدد من الهدايا القيمة لتقديمها للأمراء والخان المغولي، لأن تلك مسألة مهمة عندهم، وفي روسيا أيضا أخبرهم السيد فاسيلكو دوق روسيا * بأن عليهم أخذ هدايا قيمة للمغول، حتى يمكنهم انجاز مهمتهم في يسر، لذلك اشتروا من أموال الصدقات التي جمعوها في طريقهم بعض من جلود القندس والسمور، وكذلك جلود لحيوانات أخرى مختلفة كما ذكرنا سلفا (١).

وفي هذا الشأن ذكر كاربيني أن قيمة الزائر واستقباله تختلف باختلاف قيمة الهدايا، فمن يحمل الهدايا الغالية الثمن يتم الاهتمام به والعكس صحيح، والواقع

---

(1)Dawson, mission,p.28,50-51

* يذكر Saunders أن عدم إحضار البعثة هدايا قيمة للخان أدى إلى التعامل معهم بازدراء، لأن المغول يعتبروا أن ذلك انتهاك لقواعد السلوك الذي يحرص عليها المغول والذين أخذوها عن الصينيين.

The History Of The Mongol conquests, p.94

ويبدو أيضا أن اهتمام خانات المغول بالهدايا وصل إلى أسماع ملوك الغرب الأوربي من خلال كاربيني حيث يذكر جوانفيل أن الملك لويس التاسع ملك فرنسا عندما أرسل سفارة لخاقان المغول برئاسة وليم روبروك (١٢٥٢- ١٢٥٤) أرسل معها عدد من الهدايا مكونة من كنيسة صغيرة قرمزية اللون وكان قد أصدر أمره بتصوير تعاليم الدين المسيحي على الكنيسة كبشارة الملائكة بالولادة والميلاد والتعميد وجميع الأحزان ونزول الروح القدس، وقد أرسل مع هذا المحراب مجموعة من الأشياء والكتب وجميع الأشياء اللازمة لترتيل القداس معهم اثنين من المبشرين لتلاوة القداس ، وأيا كان الدافع من وراء تلك الهدايا عند الملك لويس حيث يذكر جوانفيل أن الملك كان لديه رغبة شديدة في اجتذاب المغول الى الدين المسيحي ، ولكن في النهاية وصلت تلك الهدايا إلى الخان و فرح بها واعتبرها جزية من أحد الأتباع لسيده. انظر: جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة وتعليق حسن حبشي، دار المعارف، الطبعة الأولى،١٩٦٨م، ص ٢١١، ٢١٨

أن تقديم الهدايا للخان والأمراء المغول هي واحدة من قواعد الآداب التي يجب على الزائر الالتزام بها، وذلك لأن الخان أو الأمراء المغول ينظرون إلى السفراء والزائرين القادمين من غير المغول أيا ما كانت مكانة هؤلاء السفراء، أنهم لم يأتوا إلى منغوليا ومقابلة الخان إلا كأتباع ورعايا للخان المغولي، قادمين لتقديم الأموال والهدايا وكل غال وثمين كجزء من الواجب المفروض على هؤلاء الرعايا بحكم التبعية، وهنا يضمن الزائرون أن تتم مهمتهم بنجاح أو تنجو أراضيهم من الأذى والدمار الذي اشتهر به المغول(١).

وأكد كاربيني أيضا على أن السفراء القادمين لدفع الجزية يتم معاملتهم بشكل أفضل عن أولئك القادمين لشئون أخرى من حيث الإمدادات في الطعام والملبس، ويكون الوضع أكثر سوء إذا كان هؤلاء السفراء قادمين لأحد أمراء المغول وتضطرهم الظروف للإقامة في إقليم الأمير فترة من الوقت، فإنهم إذا أعطوهم مؤن لعشرة أشخاص، فإن هذه المؤن تكفي بالكاد اثنين، وفي رحلتهم لا يتم إعطائهم الأكل سوى مرة واحدة في اليوم، وهذا يكون قليل للغاية على حد قول الراهب، كما أن هؤلاء السفراء لا يمكنهم تقديم شكوى بسهولة عن أي ضرر يتعرضوا له، ومن ثم كان عليهم التحمل بصبر(٢)

بعد اختيار كيوك خاقان وانتهاء مراسم التنصيب تم استدعاء كل السفراء في حضرة الإمبراطور وكاتب السر شينجاي Chingay (٣)، الذي كتب أسماء كل

(1)Dawson,mission,p.16,p.52

الغامدي، المغول ، ص ٨٨-٨٩

(2)Dawson,mission, p.27

(٣)شينجايChingay أو جينقاي: هو مسيحي نسطوري، كان الوزير الأعظم في فترة حكم أوكتاي خان، وبعد اعتلاء كيوك العرش شمل جينقاي برعايته وعطفه وقلده منصب الوزارة. انظر:

السفراء وأيضا أسماء من أرسلوهم، ثم نادوا على كل سفير ليقف أمام خيمة الإمبراطور، وفي هذا الصدد يذكر الهمذاني أن القادمين من المشرق والمغرب والشمال والجنوب لا يمكنهم التقدم أبعد من مرابط الخيول، إلا إذا كان قد استدعاهم الخان[١]. وعندما انتهت تلك المرحلة قام كل سفير بالانحناء بركبته اليسرى أربع مرات، كما أنهم تلقوا تحذيرات قوية بأن لا يلمسوا عتبة الخيمة، وبعدما قاموا بتفتيش السفراء بدقة خوفا من وجود أدوات حادة معهم، فلم يجدوا أي شيء، ثم دخلت السفارة من خلال باب على الجانب الشرقي للخيمة، لأن لا يجرؤ أحد أن يدخل من جهة الغرب باستثناء الإمبراطور وحده، ونفس تلك التقاليد يتم تطبيقها في مقر إقامة زعماء وقادة المغول، أما أولئك المغول الأقل في الرتبة* فإنهم يعطون اهتمام قليل لمثل تلك المسائل، وقد تم استقبال كل السفراء في مكان أمام الخيمة الملكية، ولم يسمح بالدخول إلا لعدد قليل[٢].

على أية حال، عندما تم دعوة البعثة إلى مقر الخان قدموا لهم شراب الميد (خمرة من عسل وجعة) [٣]، لأنهم لا يشربون لبن الفرس، ويرى كاربيني أن إمدادهم

الهمذاني (من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن)، ص ١٧٦- ١٧٧، ص ١٨٤ راجع أيضا:
Dawson, mission,p.63, note (4), The journey of Rubruck, p.23,note(1), Rachewiltz, Papal Envoys to the great Ghans,London, 1970,p.101

[١] الهمذاني، من أوكتاي، ص ١٨٧

[2] Dawson, mission,p.63, The journey of Rubruck, p.23 and note(1)

* قال القلقشندي واتفق معه الجويني في أن الأمراء في المجتمع المغولي أربع طبقات أعلاها النوين وهو أمير عشرة آلاف، ثم أمير ألف، ثم أمير مائة، ثم أمير عشرة . انظر: الهمذاني ، صبح الأعشى، ج٤، ٤٢٣، الجويني، فاتح ، م١، ص ٧٠-٧١

[٣] هناك عدد من المشروبات التي اعتمد عليها المجتمع المغولي وإن كان القميز أو الكوزموس (خمير اللبن) هو أشهرها وهو شراب السواد الأعظم منهم وهو لبن إناث الخيل ، وهناك أيضا القراكزموس Qara Kuzmos،أي شراب الكوزموس الأسود وهو مشروب علية

بالمشروبات كان دليل على احترامهم وتقديرهم للبعثة، وقد استمروا في إمداد البعثة بالشراب بإلحاح، وعندما أخبرهم أفراد البعثة بأنهم شربوا كفايتهم، وأن هذه الكمية من الشراب لم يتعودوا عليها، وعرفوا أن الإلحاح يضايقهم، امتنعوا عن الضغط عليهم. والحقيقة أنه على الرغم من إمداد البعثة بالمشروبات لا يعني ترحيب الإمبراطور بهم، لأنه في حالة رغبة الإمبراطور في الزائر كان يسمح له بالدخول إلى حضرة الخان، ويقوم الخان بنفسه بتكريمه أو التعطف عليه حيث يسلمه بنفسه كأس من النبيذ أو القميز، فيتناول هذا الشخص الشراب ويؤدي التحية وذلك بأن يبرك على إحدى ركبتيه ثم يشرب ما في الكأس دفعة واحدة، وهو ما لم يحدث مع بعثة كاربيني، ومن السفراء الذين عاملهم كيوك بازدراء واضح ممثلي طائفة الإسماعيلية*، "فقد صب جام غضبه عليهم، وأظهرهم أذلاء مهانين"[١]

القوم، ويتم تحضيره من خلال وضع حليب الفرس بعد حلبه في إناء ثم يمخض حتى يترسب في قاع الإناء كل مادة تجمعت أعلاه ويصبح لونه أبيض نقي كالمسك الأبيض فتعطى الحثالة إلى الخدم وهى مادة بيضاء اللون وذات تأثير لارتخاء الأعصاب والخمول ثم النوم أما السائل الصافي فيقدم إلى الرؤوساء كشرابهم المفضل ويصفه روبروك بأنه ممتاز ومنشط جدا وهو بعكس ما يقدم للخدم ، ومن المشروبات التي عرفها المغول أيضا شراب الحبوب الذي يصنع من الدخن أو القمح أو الأرز المغلي في الماء حتى التخثر،ولديهم أيضا الأقط (اللبن المجفف) ، وأيضا شراب الخمر المصنوع من تخمير العنب والميد وهو عبارة عن شراب يخمر من العسل وبعض أنواع الخميرة. راجع: الغامدي ، المغول وبيئتهم ،ص ٤٩، ولمزيد من التفاصيل عن المشروبات وطريق تصنيعها عند المغول انظر لاين، عصر المغول، ص ٢١٦- ٢٢٤، كرامرز ، أخبار الصين والهند، ص١١

Dawson, mission,pp. 17,98-99

[1]Dawson, mission,p.62, The journey of Rubruck, p.20

* ذلك لأن المغول شعروا أن الاسماعيليين بدأوا يتصلون سرا بالملوك في غرب أوربا ويطلبون تحالفهم ضد المغول . انظر: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٥٠

على أية حال، بعد انصراف البعثة إلى خيمتهم ذهبوا في اليوم التالي مع التتار المكلفين بالعناية بهم إلى خيمة الإمبراطور الذي أمرهم بالرجوع إلى والدته، وسبب ذلك هو أنه في اليوم التالي كان سيرفع رايته ضد العالم الغربي بالكامل[١]، وقد توصلت البعثة لهذه المعلومات من الذين تعرفوا عليهم[٢]، وكان الإمبراطور قد سعى لإخفاء هذه المعلومات عن البعثة، وبعد عودة البعثة من عند أم الإمبراطور ظلوا ثلاثة أيام ثم ذهبوا للإمبراطور مرة أخرى، وقد ظلوا بعدها شهرا لديه، ويذكر الراهب أنهم تحملوا الجوع والعطش فما يأخذوه من طعام يكفي أربعة أشخاص يكفي شخص واحد بالكاد [٣]

.ويبدو هنا تغير موقف الخاقان من البعثة بعد علمه بما ورد في الخطابات البابوية، وعبر عن خيبة أمله بإعطاء أمر بتقليل الحصص الغذائية للبعثة البابوية، فضلا عن عدم قدرة البعثة على شراء احتياجاتها ؛ لأن السوق كان بعيدا إلى حد ما عن خيمة الخان، ولكن أنقذهم الرب كما يقول كاربيني بشخص روسي يدعى Cosmas الذي دون مساعدته كانت البعثة ماتت، وهو صائغا ومفضلا عند الإمبراطور المغولي بشكل كبير، وقبل تتويج الخان أتاح كوزماس للبعثة أن ترى

---

[١] كان كيوك قد عزم على شن الحرب ضد الكنيسة و الإمبراطورية الرومانية المقدسة،وضد كل الممالك المسيحية ودول الغرب الأوربي، حيث أمر وزرائه بجمع العساكر لهذا الغرض. راجع: الرمزي، تلفيق الأخبار، ج١، ص ٣٩٧، الهامش، محمود عمران، المغول، ص٢٢٦، ربما ذلك بسبب استياء كيوك من الخطابات البابوية شديدة اللهجة.

[2] Dawson, mission,p.66, The journey of Rubruck,p p.26- 27.Cf. also: Guzman, "European Clerical Envoys To The Mongols:Report of Western Merchants in Eastern Europe and In Central Asia 1231 – 1255" ,Journal of Medieval History,vol.22,no.1,1996,pp.53-67

[٣] ارتفعت أسعار المأكولات والمشروبات ارتفاعا فاحشا وندر وجودها. راجع : الهمذاني ، من أوكتاي ، ص ١٨١، ١٨٧

تاج الخان الذي صنعه بنفسه، وأيضا ختم الإمبراطور الذي قام أيضا بتصميمه، وحدثهم عن النقش الذي كان على الختم[١].

وفي اليوم التالي أرسل لهم الخان كبير الأمناء(الموظفين) شينجاي حتى يخبرهم بأن الخان يريد منهم كتابة كل ما يريدون قوله، ويحددوا مهمتهم بالضبط، ويسلموا ما كتبوه لهذا الموظف، وهو ما تم بالفعل، حيث كتبوا ما قالوه في السابق للأمير المغولي باتو كما قيل بالضبط، وبعد بضعة أيام تم استدعائهم مرة أخرى، وأخبرهم كاداك Kadac نائب(وكيل) الإمبراطورية بأكملها، في حضور كبار الأمناء (الموظفين) بالا Bala وشينجاي وعدد من الأمناء والكتبة الآخرين، ليقولوا للبعثة قرارات الخان، وقبلت البعثة بذلك عن طيب خاطر، وكان مترجمهم في تلك المناسبة يدعى تامرTamer [٢]، المذكور سلفا، ثم سألوهم عما إذا كان هناك لدى السيد البابا شخص يفهم الكتابة الروسية أو العربية أو حتى التتارية، وردت البعثة بأنهم لا يستخدمون الروسية ولا العربية في كتاباتهم، ولكنهم ذكروا أنه يوجد مسلمين في بلادهم ولكنهم بعيدين عن السيد البابا، ولكن الأمراء المغول رأوا أنه

---

[1]Dawson, mission,p.66, The journey of Rubruck, p.26, Rachewiltz, Papal Envoys, pp.100- 104

* كان الختم الإمبراطوري يحمل تلك الكلمات: (الله في السماء وكيوك خان على الأرض، عظمة الله وختم الإمبراطور لكل الرجال (البشر)، وقد كتبت تلك الكلمات على الأرجح في منغوليا، ولكن برموز أو حروف من اللغة الصينية.
ذكر الجويني أن كيوك أعد للحضور المكان الذي يلائمهم، فأعدوا لهم ألفي حمل حمار، وبالرغم من ذلك غلت الأسعار وندرت الأعلاف، انظر: جهان كشاي ، م١، ص٢٥٦.

[٢] كان Tamer في السابق فارس من فرسان Jerozlaus وكان معه رجل دين يدعى Dubarlaus يقال أيضا أنه كان أنه كان في خدمة الدوق Jerozlaus . راجع:
The journey of Rubruck, p.27,note (1)

من الأفضل في هذه المسألة أن يكتبوا الخطاب باللغة التتارية[١]، وتكتب الترجمة باللاتينة؟ بكل دقة في النسخة التي تتسلمها البعثة على أن يأخذوا النسختين للبابا، ثم تركوا البعثة تقابل الإمبراطور، و يذكر كاربيني أنهم سألوا الخان عن الدافع الذي يجعله يتوسع في فتوحاته وتحديدا في شرق أوربا، وأجاب عليهم كيوك قائلا" لقد أمر الله بذلك أجدادنا، وعلينا أن نعاقب الأمم المذنبة"، ثم سألوه عن رغبة البابا في معرفة ديانته، فأجاب " الله يعلم، وإذا كان للبابا دافعا لسؤاله، فليأتي نفسه ليتأكد"[٢].

ذكر كاربيني أن الخان المغولي كان من عادته أن لا يتحدث مع أي شخص أجنبي، مهما كان مهما إلا من خلال وسيط *، ويستمع ويعطي إجابته أيضا من خلال وسيط، حتى رعاياه، فإن أي أعمال يحضرونها توضع أمام كاداك، ويسمعون الرد وهم يمكثون على ركبهم حتى نهاية الحديث. وفي الواقع لا يمكن لأي شخص أن يقول أي شيء بعد أن يعلن الخان قراره، وهو لديه جميع الموظفين(الأمناء،والوكيل، والكاتب)، المسئولين عن التعامل في الأمور العامة والخاصة على حد سواء ؛ وكان كل شيء يتم تسويته وفقا لقرار الخان، دون اضطراب في النواحي القانونية، ويتصرف أمراء المغول الآخرين بنفس الشكل في الأمور المتعلقة بهم[٣].

---

[١] اللغة التتارية :هى اللغة المغولية التي استخدمها جنكيز خان في إصدار الأوامر والمراسيم ما هي إلا الحروف الهجائية في اللغة الأويغورية، والتي اقتبسها جنكيزخان للتعبير عن الكلمات المنطوقة بالمغولية باعتبار أن الأويغورية أسهل في النطق والكتابة، كما أنها أكثر تحضرا، إذ أنها إحدى لهجات اللغة التركية التي تم التعبير عنها بحروف سريانية. راجع: الجويني، جهان، ص٦٥، على السيد، كورفينو، ص ٢٨، هامش (٣)

[2]Dawson, mission,p.66-67, Victor, Histoire, p.35

راجع أيضا:متى الباريسي،ص١٥٤

[3]Dawson, mission,p.67 - 68, The journey of Rubruck, p.28-29.

وفي اليوم التالي الموافق ١١ نوفمبر ١٢٤٦م تم استدعاؤهم مرة أخرى وأخيرة، وجاء إليهم الأمناء المذكورون أعلاه، وقاموا بترجمة الخطاب كلمة كلمة، وعندما كانت البعثة تكتب الخطاب باللغة اللاتينية، هم ترجموه مرة أخرى ليتأكدوا من أنهم لم يخطأوا في أي كلمة، وعندما تمت كتابة الخطابين، قالوا للبعثة :" تأكدوا من أنكم تفهمون كل شيء بوضوح، لأنه من غير المناسب أن لا تفهموا أي شيء، رؤيتك يجب أن تسافر إلى مثل هذه البلاد البعيدة"، وردت البعثة بأنهم فهموا كل شيء بوضوح، ثم كتبوا الرسالة مرة أخرى باللغة العربية، في حالة وجود أي شخص في تلك الأجزاء من المسلمين يمكن قرآتها إذا أراد البابا[١].

ومن الأمور التي لفتت انتباه كاربيني وهو في البلاط المغولي السلطة العمياء من قبل الموظفين في البلاط إلى الخاقان، حيث يتمتع بسلطة مطلقة على الجميع، فلا يجرؤ أحد الجلوس في مكان غير الذي حدده له، وحين يتحدث الخان على الحضور الركوع وعدم الحديث حتى يأذن لهم، وهو الذي يعين القادة والرؤساء، وأيا كان الأمر الذي يعطيه لهم، وأيا كان الوقت، وأيا كان المكان هم يطيعونه دون أي اعتراض، حتى لو طلب من أي منهم ابنته أو أخته غير المتزوجة يعطوها له دون تذمر، كما اعتادوا في هذه البلاد أن يجمعوا كل عام أو كل بضعة أعوام فتيات صغيرات من جميع أنحاء أرض التتار، وإذا رغب الخان في الاحتفاظ بأي منهن فإنه

يبدو أن كاربيني لم يلتق بالخان سوى لبرهة قصيرة ، حتى أنه اعلمه بهدف سفارته كتابة.انظر: Richard, La Papaut, pp.72-73

* ذكر روبروك أن الخان المغولي كان لا يلتفت لمن يحدثه من السفراء حتى أنه كان يلاعب صقرا في يده أثناء دخول البعثة ولم يسمح لهم بالحديث سوى بعد فترة وكان عليهم حينئذ الركوع.انظر: عباس إقبال، تاريخ إيران، ص ٤١٩-٤٢٠، هامش (٢).راجع أيضا: Dawson,mission,p.155, The journey of Wiliam Rubruck, pp.174- 175

[1]Dawson, mission,p.67, The journey of Rubruck, p.28.

يفعل، والباقيات يوزعهن على رجاله كما يترآى له[١]. ويؤكد الهمذاني على ما قاله كاربيني من طاعة رعاياه وأتباعه له قائلا: "لم يكن لأركان حضرته والمقربين إليه وخواصه مجالا لأن ينقلوا قدما عن قدم دون استئذانه، كذلك لم تكن لهم الجرأة على أن يعرضوا عليه مصلحة من المصالح قبل أن يشرع هو في الكلام فيها"[٢].

والواقع أن تلك الطاعة للخاقان لم تقتصر على المغول وحدهم وإنما أيضا على الأمم التي سيطر المغول على أراضيها، فإذا واجه أحد حكام هذه البلاد أية مشكلة عليه التوجه إلى بلاط الخان لعرض القضية وحسمها، كما حدث مع ابني ملك جورجيا، وكان أحدهما شرعي وأخر من محظية (غير شرعي)، وكان الأول يدعى Melic، والثاني يدعى داؤد(ديفيد) وهو الأكبر سنا، وقد انطلق الابن الشرعي إلى إمبراطور المغول لأن من يحكم أراضي والده هو الأخ الغير شرعي، وعندما علم ديفيد بذلك انطلق هو الأخر باتجاه الإمبراطور، وكل منهما يحمل هدايا فخمة للخاقان، وعندما عرضت القضية أمام الخاقان، وأبدى داؤود اعتراضه على أن يكون حكم بلاد أبيه بعد وفاته لابن غير شرعي، وهنا تحدث مليك لإمبراطور المغول قائلا:" أنا ابن المحظية، ومع ذلك أنا أطالب أن تتحقق العدالة وفقا لعادة التتار، والذين لا يوجد اختلاف عندهم بين ابن الزوجة الشرعية وغير الشرعية"، وفي النهاية جاء حكم المغول لصالح الابن غير الشرعي، وأصبح الابن الشرعي تابعا له[٣].

---

(1)Daswon, mission ,p.27

(٢)الهمذاني، من أوكتاي، ص١٨٧

(3)Dawson, mission,pp.40-41,cf also: Saunders,The History Of The Mongol , p.94

وقدر كاربيني عمر الإمبراطور بأنه يتراوح ما بين الأربعين والخمسة والأربعين عاما[١] أو أكثر، وهو متوسط القامة، ولكنه داهية وحكيم للغاية، وكذلك جاد ورزين في أسلوبه، لم يسبق رؤيته وهو يضحك لأمر تافه، ويعتقد المسيحيون الذين يرافقوه أنه على وشك أن يتحول إلى المسيحية، ودليلهم في ذلك هو أنه يبقي على رجال الدين المسيحي ويمنحهم امتيازات خاصة بأمور مسيحية، فضلا عن ذلك هو كان لديه كنيسة صغيرة أمام خيمته الرئيسية قد شيدها من ماله الخاص، ويسمح للمسيحيين أن يغنوا فيها بصوت عال، وكانوا يضربون على لوح من الصفيح في ساعات معينة وفقا لطقوس اليونانيين، تماما مثل المسيحيين الآخرين[٢].

ولابد من الوقوف هنا قليلا عند نقطة تسامح كيوك مع رجال الدين المسيحي، فالواقع أن تسامح أباطرة المغول كان مع كل الأديان وهو أمر منصوص عليه في الياسا[٣] أي أن هناك قانون يجعلهم ملتزمين إزاء الأديان الأخرى

[١]هناك رأي يقول أن كيوك كان عمره أصغر من أربعين عاما، وهو بالكاد يكون في العقد الثالث من العمر.

Dawson, mission,p.68, note(1).

[2]Dawson, mission,p.68

[٣]متى الباريسي، ص ١٥٤

* وضع جنكيز خان دستورا تم العمل به في جميع أنحاء إمبراطورية المغول ، وهو كان عبارة عن مجموعة من الآداب والتقاليد والأحكام التي تنظم حياة المجتمع المغولي في كل النواحي، وقد أمر جنكيز خان بتدوين هذه الأحكام بالخط الأويغوري، وأطلق عليها اسم ياسا وهى تكتب بأكثر من شكل إذ يطلق عليها ياسا ويساق ويسق، وهى كلمة مغولية تعني حكم أوقاعدة، أو قانون، ويطلق على هذه القوانين المجمعة في سفر كبير " كتاب الياسا الكبير" أو " الياسا الجنكيز خانية" ، وأطلق عليها البعض " التوراة الجنكيز خانية". للمزيد عن هذه القوانين راجع: الهمذاني، جامع التواريخ:تاريخ هولاكو، م٢، ج١،

بالتسامح، ويحظر عليهم التعصب الديني، وإن كان هناك ميلا قليلا تجاه المسيحيين فهذا يرجع إلى أكثر من سبب منها أن زوجات أباطرة المغول وأمهاتهم كن مسيحيات، وبالتأكيد سوف يحسنون صنعا مع المسيحيين، وليس أدل على ذلك من أم كيوك التي أعطت لكل واحد من أعضاء البعثة، عند عودتها، عباءة (معطف) من جلد الثعلب، والتي كان لها فراء من الخارج، وأيضا مبطنة من الداخل، وقطعة من المخمل الأرجواني، ولكن المغول المكلفين بالعناية بالبعثة سرقوا معظم هذه الهدايا، وعلى الرغم من أن كاربيني ورفاقة يعلمون ذلك، إلا أنهم فضلوا عدم حدوث ضجة فيما يتعلق بذلك الأمر(١).

ص١٩٣، المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت، ٨٤٥هـ /١٤٤٢م)،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و لآثار، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م، جـ ١، المجلد الثالث، ص١٤٦-١٤٧ ، القلقشندي ، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٣١٠ - ٣١٢، الجويني،جهان كشاي،ص ٦٥ – ٧٣ . راجع أيضا: فؤاد الصياد ، المغول في التاريخ، جـ١، ص ٣٣٨-٣٥٣، محمد سعد الغامدي، الياسا: دراسة نقدية وتحليلية واستنتاجيها لبعض نصوصها، مجلة كلية آداب، جامعة الإسكندرية، مجلد ٣٧ ،١٩٨٩م، ص٧٧ – ص١٢٨، الصاوي محمد الصاوي، جنكيز خان فاتح العالم، القاهرة ، ٢٠١٢، ص ١٠٦ – ١١٢. راجع أيضا:

Dawson, Mission, pp.25-26,Jackson, P., "The Mongols and Europe",p.704

(١)للمزيد راجع: ، القلقشندي، صبح، جـ٤، ص٣١٠-٣١٢، الصياد، المغول في التاريخ، جـ١، ص ٣٣٨، علي السيد ، كورفينو، ص ١٧و ص ٣٤-٣٥ ، محمد سعد الغامدي، المجتمع المغولي (ضوابطه وقوانينه)، الرياض،١٩٩٠م، ص ٦٧ - ٦٨ ، إيمان الدباغ، نظم المغول، ص ١١٠- ١١١، ١١٣، ١١٤ ، هناك دراسة موسعة عن التسامح الديني عند المغول، أحمد جلايلي،حرية المعتقد والتسامح الديني في حكم المغول (٦٠٣-٦٩٤هـ/١٢٠٦- ١٢٩٥م)، عصور الجديدة ، ، العدد ١٩-٢٠، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م، ص ١٥٦-١٧٦ . راجع أيضا :

Dawson, mission,p.69, The journey of Rubruck, p.30, Rachewiltz, Papal Envoys,pp.164- 165, Ralph(T.,), the Great Cultural Traditions,the

هذا فضلا عن اعتماد الإمبراطورية في شئونها الإدارية على المسيحيين وبخاصة النساطرة، وهنا كان معظم الأباطرة المغول يعتمدون في كثير من الأشياء على المسيحيين المقربين منهم، وكان ذلك الحال مع كيوك خان إذ كان ملازما له كل من قداق وجينقاي المسيحيين، فالأول وصل لمنصب الوزارة في عهده، وكان ملازما لكيوك منذ الصبا إذ كان أتابكا ومربيا له، وبالتأكيد أثر على الخان واستمالته لتلك العقيدة، ثم جاء جينقاي، الذي كان نائبا (وكيلا) لكيوك، وقوى فيه هذا الميل، فضلا عن اعتماد الخان على عدد من الأطباء النصارى، ولتلك الأسباب كان يقبل كيوك دائما على رعاية القساوسة النصارى، وعندما ذاعت شهرته بذلك قصده الرهبان والقساوسة من بلاد الشام والروم والآس وغيرهم(١).

وقد علم كاربيني من التتار المكلفين بالعناية بهم أن الخان يقترح أن يرسل معهم سفراء إلى الغرب الأوربي، بل اقترحوا على البعثة بأن تبادر هى بطلب ذلك من الخان، ولكن البعثة رفضت تقديم مثل ذلك المطلب؛ لأنه ليس في صالح البعثة لأسباب كثيرة منها خوف البعثة من أن يطلع سفراء الخان على الخلافات الموجودة في الغرب الأوربي سواء بين الملوك وبعضهم أو بين البابا والسلطة الزمنية(٢) لأن ذلك ربما يحفز المغول على مهاجمة أوروبا، كما تخشى البعثة أن يكون هدف الخان من تلك السفارة هو التجسس على الغرب الأوربي على المسالك والدروب المؤدية

---

foundations of civilization , the classical empires, 2vols, newyork, 1949, pp.383-385, Morgan, D.,the mongols, U.S.A, 1996,p.44, Yule,Cathay, Vol.1, p.155

(١) الهمذاني، من أوكتاي، ص ١٨٤، ١٨٨، الجويني ، جهان ، م١، ص ٢٦١-٢٦٢، الرمزي، تلفيق الأخبار، ج١، ص٣٥٩، ص٣٩٦-٣٩٧، الهامش

(2) Dawson, mission,p.68

إلى الغرب الأوربي، كذلك تخشى البعثة من أن هؤلاء المغول قد يقتلوا في الطريق أو يتم أخذهم عنوة منهم، كذلك وجدت البعثة أيضا أن هؤلاء السفراء لا يوجد أي نفع من سفرهم لأوربا؛ لأنهم لا يملكون أي سلطة أو أي تفويض، وتقتصر مهمتهم فقط على توصيل الرسائل التي كانت مع كاربيني وبعثته لتوصيلها للبابا وملوك الغرب الأوربي، وبالتالي فإن الأمر لا يحتاج إلى هؤلاء السفراء المغول(١)

وفي **١٣** نوفمبر تم السماح للبعثة بالرحيل، وأعطوهم خطاب مختوم بختم الإمبراطور والذي جاء رده فيه مخيبا لآمال البابوية والرهبان، فقد اشتمل خطاب كيوك للبابا أنوسنت الرابع على تعظيم نفسه كإمبراطور وملك ملوك العالم، ووافق على إقامة سلام وتحالف مع البابا شريطة خضوعه هو وكل حكام الغرب الأوربي للخان، بل وحذر الخان البابا من أن تأخيرهم في المجيء وإعلان تبعيتهم له سوف يجعل إقامة السلام بينهم أمرا صعبا، وفيما يتعلق بطلب البابا من المغول بشأن وقف القتال ضد المسيحيين، رد الخان عليه بأن هؤلاء لم يطيعوا أوامر جنكيز خان والخان أوكتاي فأمرنا الرب أن نقتلهم، كما رد الخان على مسألة تعميده قائلا: " لقد قلتم لي أنني إن قبلت التعميد لكان ذلك شيئا رائعا للغاية، غير أننا لا نفهم ذلك الطلب جيدا "(٢).

---

(1) Dawson, mission,p.68-69, The journey of Rubruck, p.30

(2) Richard, La Papaut, p.72-73, Herde, the relations of the papacy with mongol and muslim Rulers in late thirteenth century,p.204, Rachewiltz, Papal Envoys, pp.104-105, Saunders,The History Of The Mongol conquests, pp.94-95

وفي ختام الخطاب ذكر أن ملوك العالم ثلاثة هم جنكيزخان الإمبراطور الأول- أوكتاي خان الإمبراطور الثاني، وكيوك الإمبراطور الثالث[١]، وختم الخطاب بختمه المكتوب عليه الرب في السماء، وكيوك على الأرض، إمبراطور كل البشر[٢].

على أية حال، وصلت البعثة إلى معسكر الأمير المغولي باتو في **٢٥** مايو وطلبت منه البعثة أن يرسل رده للسيد البابا، لكنه رفض ذلك موضحا أنه لا يرغب في إرسال أية رسالة بخلاف تلك التي أرسلها الخان، وأكد على البعثة أن يخبروا البابا والسادة الآخرين بقراءة خطاب الخان باهتمام شديد، ثم أعطاهم البايزة*، واتخذت البعثة طريقها من معسكر باتو إلى قائد الحراس Corenza الذي طلب منهم الهدايا مرة أخرى، ولكن لم يكن لديهم شيء يعطونه له، وهناك انضم إليهم رفيقهم الذين تركوه هناك كرهينة، ثم زودهم باثنين من التتار وصلوا معهم

---

[1]The Narrative of brother Bendict,pp. 83-84

عادل هلال ، المغول، ص **٦٤- ٩٧**

[٢]عادل هلال، المغول، ص **٦٦** ، انظر أيضا:

Dawson, mission,pp.85-86, Eric Voegelin, " The Mongol Orders Of Submission To European powers 1245-1255",in Byzantion,vol.15,(1940-1941), ,pp.378-413,Esp.384

عن نص خطاب كيوك خان للبابا إنوسنت الرابع في نوفمبر **١٢٤٦**م. راجع :

Dawson, mission,pp.85-86

عن مناقشة لمحتوى خطاب كيوك للبابا باللغة العربية راجع: عادل هلال، المغول، ص **٦٤- ٦٧**.

حتى كييف في روسيا في ٩ يونيو[١]، حيث ذكر الراهب أن كل رجال روسيا الذين كانوا في طريقهم تلقوا رسالة باتو (البايزة) المختومة بخاتمه وأوامره بأنه عليهم إمداد البعثة بالرجال والخيول والطعام وإلا سوف يقتلون، ووصلت البعثة في ٣ أكتوبر إلى Cologne ١٢٤٧م، وفي ١٨نوفمبر وصلوا إلى ليون، بعد غياب ما يقرب من عامين ونصف[٢]

على أية حال، تحدث كاربيني عن تجربة عاشها لما يقرب من العام و أربعة أشهر، ويذكر كاربيني أنه وبعثته شاهدوا كل شيء بأم أعينهم، حيث سافروا وسط هؤلاء المغول ودائما كان معهم أدلاء منهم حيث يقول "سافرنا تقريبا في وسطهم، ورافقناهم"، و يذكر كاربيني أن هناك مصدر مهم من مصادر معلوماته عن بلاد المغول، وهم المسيحيون الموجودون في بلاد المغول كأسرى، وهؤلاء يعيشون وسط المغول. ويؤكد كاربيني أكثر من مرة على أنهم عرفوا الكثير من المعلومات عن الإمبراطور وأسرته، وعن البلاد التي كانوا فيها من هؤلاء، كما حصلوا على

---

[1]Dawson, mission,p.69, The journey of Rubruck, p.30

*البايزة هى عبارة عن لوحة من الذهب أو الفضة وفي بعض الأحيان من الخشب وذلك حسب رتب الأشخاص، وينقش على وجهها اسم الله واسم السلطان وعلامة خاصة، وتهدى إلى الأشخاص الذين يتمتعون بثقة المغول، كما أنها تتضمن أمر الملك لسفرائه، ويتمتع حاملها بامتيازات خاصة، تضمن لحاملها المرور الأمن أو الحر في بلاد المغول: الهمذاني، جامع التواريخ، مجلد الثاني ، الجزء الأول، ص ٢٤٧، هامش (١)، ماركو بولو، الرحلة ، ج١، ص ٣٧، ص٤٥، وعن صورة لتلك البايزة المغولية راجع: إيمان الدباغ، نظم المغول، ص ١٦٨

[2]Dawson, mission,pp.69-71,cf also: Rachewiltz, Papal Envoys,pp.109-110, Saunders,The History Of The Mongol, p.96

دعم كبير من عدد من الشخصيات سواء من المجريين أو الروس وغيرهم من الذين يعرفون اللاتينية والفرنسية، الذين تواجدوا بين المغول لفترات متفاوتة، منهم من عاش مع المغول ثلاثين عاما، وآخرين عشرين عاما، وآخرين عشرة أعوام، وقد أتيح لتلك الشخصيات تعلم لغة التتار؛ لذلك كانوا مصادر مهمة لمعلومات كثيرة عن المغول. ويذكر الراهب أنهم كانوا يمدوهم بالمعلومات عن طيب خاطر(برغبتهم)، لأنهم يعرفون أن البعثة تسعى لمعرفة تلك المعلومات[١].

وعلى الرغم من أن الهدف الأساسي لتلك البعثات البابوية هو التبشير بالمسيحية الكاثوليكية بين المغول و عقد تحالف عسكري معهم وهو الأمر الذي لم يحدث على أرض الواقع، إلا أن أعضاء تلك السفارات أمدونا بالكثير من المعلومات عن شتى مناحي الحياة لدى المغول وحكامهم. ومن الأمور التي لفتت انتباه حنا بلانو كاربيني مراسم انتخاب خان جديد، وكذلك شكل مسكن الخان Sira Ordaوأمراءه والقواعد الأساسية التي يلتزم بها السفراء فترة تواجدهم في معسكر الخان.

وبعبارة أخرى، أنه على الرغم من أن الغرض الأساسي للبعثة هو غرض سياسي وديني في المقام الأول، فإن كاربيني قد أسهم بنصيب كبير في تسليط الضوء على بعض النواحي الاجتماعية، وآداب السلوك التي كانت تراعي في البلاط المغولي سواء في الاحتفال بانتخاب الخان أو مراسم استقبال السفراء والتي كانت تتم في دقة وتنوع كما كان الحال في أرقى المجتمعات.

---

[1] Dawson, mission,p.3-4,66 ,The journey of Rubruck, p.26-27.cf also: Ho,C.," Thirteenth and Fourteenth Century European- Mongol", university of California Santa Barbara,p.948

وفي الوقت الذي كانت فيه الصورة الذهنية لدى الغرب الأوربي عن المغول وحكامهم مليئة بالوحشية والبربرية والتعطش للدماء، وأنهم شعوب همجية ليس لديهم أي نوع من المدنية والتحضر، فإن معلومات الرهبان اللاتين الذين زاروا البلاط المغولي آنذاك توضح أنه كان بلاط منظم له بروتوكولات معينة، وأيضا حياة الشعب المغولي لا تسير بشكل اعتباطي، وإنما تم تنظيم العلاقات فيما بينهم بموجب القانون الذي وضعه مؤسس الإمبراطورية المغولية جنكيزخان والذي عرف بالياسا، متأثرين في ذلك بأصحاب الحضارات التي احتكوا بها و قاموا بغزوها كالحضارة الصينية[١].

ومن ثم فإن المغول بحكم قربهم الجغرافي من الصين، واحتكاكهم المباشر بها، حيث دخلوها كغزاة ثم استقروا بها، تأثروا بشكل كبير بالثقافة الصينية المتقدمة على المجتمع المغولي، ولم يتأثروا بها في نواحي الحرب والسياسة فحسب، وإنما في نمط حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم، أيضا نجد تأثر المغول بالصينيين في تأليه الإمبراطور فهو ابن السماء، خلق الله له هذا الكون لكي يسيطر عليه ويكون الجميع في خدمته، ومن منطلق تلك النظرية نظر خاقان المغولي لنفسه على أنه سيد هذا العالم وأن كل الأمم والدول عليهم القدوم إليه لتقديم فروض الولاء والتبعية،

---

[١] أثر سيطرة المغول على الصين خلال (١٢١١ – ١٢١٥م) ، في نمط الإدارة وإصدار القوانين وطبيعة الحياة بعد أن أصبح قسما من الصينيين تجارا ومرشدين وإداريين وخبراء عسكريين لدى المغول، بل أن الفكرة الصينية التي كانت ترى في الصين إمبراطورية الوسط، وحاكمها ابن السماء قد بدأت تتسرب إلى الفكر المغولي، بحيث أصبح الحاكم المغولي هو حاكم الشرق والغرب، وأنه المسيطر الوحيد على العالم. راجع: نعمان محمود جبران، محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير: أسباب ونتائج، دراسات تاريخية ، العددان ٣٩، ٤٠، جامعة اليرموك ، ١٩٩١م، ص ١٤٢.

وبالتالي كانت هناك شروط لهذا المجيء منها إحضار الهدايا القيمة، لأنهم لا يقبلون هدايا قيمتها ضئيلة، وأيضا كان على القادم إليهم أن ينفذ كل التعليمات التي يتلقاها سواء من العبور بين نارين متقدتين أو الانحناء للأمير أو الخاقان المغولي، والانحناء لآلهتهم حتى وإن كانوا أصحاب ديانات أخرى، كذلك تأثروا بهم بشكل كبير في مراسم وطقوس تنصيب خاقان مغولي جديد .

ومما تجدر الإشارة إليه، أن طريقة خانات وأمراء المغول في استقبال السفراء ظلت واحدة على مر العصور حتى من اعتنق منهم الإسلام، ففي عام **٦٦١**هـ وصلت سفارة الملك الظاهر بيبرس إلى بركة خان القبيلة الذهبية، فكان عليهم إتباع الآداب المغولية، إذ تذكر المصادر أن وزير بركة خان، قد حذر رسل السلطان الظاهر بيبرس بأن يدخلوا خيمة بركة من ناحية اليسار، فإذا أخذت منهم الكتب، كان عليهم الاتجاه إلى اليمين ويكون الجلوس على الركبتين، ولا يسمح باصطحابهم أية أسلحة، أو لمس عتبة الخيمة، وغيرها من الأوامر التي على الضيف إتباعها حتى تتم مهمته بنجاح. بعدها التقوا ببركة في خيمة كبيرة تسع مائة رجل مكسوة باللباد الأبيض، وفخمة من الداخل، وهو جالس على تخت وإلى جانبه الخاتون الكبرى، وعنده أمراؤه، فأمر بقراءة الكتاب، ثم نقل الرسل من يساره إلى يمينه[١].

أما عن البابوية، فقد بذلت أقصى ما في وسعها في تلك الفترة للتحالف مع المغول، ولكن ذلك التحالف لم يكتب له النجاح على أرض الواقع؛ بسبب مطلب

---

[١] النويري ، نهاية الأرب ، ج**٣**، ص **١٠٦**، صبري سليم، المجتمع المغولي في عصر الأباطرة العظام (من جنكيز خان إلى قوبيلاي خان **٦٠٣-٦٩٣**هـ، رسالة ماجيستير غير منشورة، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة،**١٤٠٩**هـ/**١٩٨٩**م. ص **٤٥١**

الخان المغولي دائما بضرورة خضوع البابا وملوك وحكام أوربا له، ولأن كلا الطرفين البابوية والخاقان المغولي كل منهما ينظر إلى نفسه باعتباره ممثل الرب على الأرض وهو سيد هذا العالم، وبالتالي كان هناك استحالة في خضوع أيا منهما للأخر.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية والمعربة:

- ابن الأثير (علي بن أحمد بن أبي الكرم ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ،ج١٠، بيروت،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
- ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج من أهرون الطيب الملطي ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول،بيروت، ١٩٠٠م.
- ابن العماد الحنبلي (شهاب الدين أبي الفلاح بن أحمد ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط،، الجزء السابع،دار ابن كثير،الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١
- ابن بطوطة (أبو عبدالله محمد بن عبدالله ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،تحقيق محمد عبد المنعم العريان، مراجعة مصطف القفاص، جزاءن، بيروت،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
- ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد الحضرمي ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، الخبر عن دولة التتر تاريخ المغول من كتاب العبر، تحقيق ودراسة أحمد عمراني، دار الفارابي، د.ت
- ابن عربشاه (أبو محمد أحمد بن عبد الله الدمشقي ت ٨٥٤هـ، عجائب المقدور في نوائب تيمور،تحقيق علي محمد عمر، الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م
- ابن منظور(أبو الفضل كامل الدين محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت،١٩٩٣م
- أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة للطباعة والنشر، ج٣، بيروت، د.ت.
- الجويني (علاء الدين عطا ملك ت ٦٨١هـ)، جهان كشاي،تحقيق محمد بن عبدالوهاب القزويني، ترجمة السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، المجلد الأول، طبعة ٢٠٠٧
- الرمزي، تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، ج١،أورنبورغ، ١٩٠٨م.
- الذهبي شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري،، بيروت، ٢٠٠٢،
- السيوطي(جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، ١٩٥٢/ ١٣٧١هـ

- العمري (ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩- ١٣٤٨)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سليمان الجبوري،بيروت، ١٩٧٢، ج٣
- القلقشندي (أبي العباس أحمد بن علي ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د.ت، جـ ٤
- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت، ٨٤٥هـ /١٤٤٢م)،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و لآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، جـ ١، المجلد الثالث
- _____، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال،ط١، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٠م، ج٢،
- الهمذاني (رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير ت ٧١٨هـ/١٣١٨ م)، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن)، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، المجلد الأول، ط٢،دار النهضة العربية،بيروت، ١٩٨٣م،
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الثاني، بيروت،١٩٧٧

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

- أحمد جلايلي،حرية المعتقد والتسامح الديني في حكم المغول (٦٠٣-٦٩٤هـ/١٢٠٦-١٢٩٥م)، عصور الجديدة،، العدد ١٩-٢٠، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م
- ادوارد جوانفيل بروان، تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدي، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، مصر، ١٩٥٩م.
- إسماعيل عبد العزيز الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ط١، الكويت،١٩٨٤م
- السباعي محمد السباعي، عطا ملك الجويني وكتابه جهان كشاي،دار الزهراء للنشر،١٩٩١م.
- الصاوي محمد الصاوي، جنكيز خان فاتح العالم، القاهرة، ٢٠١٢م.
- إيمان الدباغ، نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين- الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، عمان، ٢٠١٩
- بارتولد، فاسيلي فلاديميروفيتش ، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، ١٩٨١م
- برتولد،شبولر، المغول في التاريخ، ترجمة يوسف سلب الشام، دار طلاس ط١، دمشق، ١٩٨٩م.
- جورج لاين، عصر المغول،ترجمة تغريد الغضبان، مراجعة سامر أبو هواش، أبوظبي:هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة،كلمة،٢٠١١م

- سعاد الطائي، أعلام أمراء البلاط المغولي، دراسة في دورهم العسكري والسياسي والإداري والاقتصادي والعمراني (٦٢٤-٦٧٣هـ/١٢٢٧-١٢٧٤م)، بغداد، ط١، ٢٠١٤م
- _____، القراخانيون: دراسة في أصولهم التاريخية وعلاقاتهم السياسية ودورهم في الحياة العلمية (٣١٥-٦٠٧هـ/ ١٢١٠م)، دمشق، ٢٠١٦م،
- صبري أبو الخير سليم، قيام دولة مغول القفجاق في روسيا وسياستها الخارجية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق،١٩٩٢م.
- صبري عبد اللطيف سليم، المجتمع المغولي في عصر الأباطرة العظام (من جنكيز خان إلى قوبيلاي خان ٦٠٣-٦٩٣هـ، رسالة ماجيستير غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة،١٤٠٩هـ/١٩٨٩م
- صلاح الدين محمد نوار، المرأة ودورها في المجتمع المغولي:طبقا لمصادر المغول وقوانين الياسا، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٩م
- عادل هلال، العلاقات بين المغول وأوربا، القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٩٧م.
- عباس إقبال، تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية،ترجمة عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبوظبي، ٢٠٠٠م.
- _____، تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية،ترجمة عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبوظبي، ٢٠٠٠م
- عبدالرحمن فرطوس، نظام البريد عند المغول، مجلة كلية الآداب،جامعة بغداد، العدد٨٠، ٢٠٠٧م.
- علاء محمود قداوي، رغد عبد الكريم أحمد، إمبراطورية المغول : دراسة في تكوينها وصراع الأسرة الحاكمة على منصب الخان الأعظم، آداب الرافدين، العدد ٥٩، ٢٠١١م.
- علي أحمد السيد،" جهود جون أف مونت كورفينو التبشيرية في الصين"، مجلة الإنسانيات، العدد(٢٥)، فرع دمنهور، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٧م.
- فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، بيروت، ١٩٨٠.
- كرامرز .ج.أ، أخبار الصين والهند (٢٣٧هـ)، تحقيق وترجمة للفرنسية جان سوفاجيه، دار بيبليون، باريس، ٢٠٠٩م
- محمد سعد الغامدي، الياسا: دراسة نقدية وتحليلية واستنتاجيها لبعض نصوصها ، مجلة كلية آداب، جامعة الإسكندرية، مجلد ٣٧،١٩٨٩م.

- محمد سعد الغامدي، الياسا: المغول بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية، ط١، الرياض، ١٩٩٠
- محمود سعيد عمران، المغول وأوربا، ص٣٨- ٤٠٨- دار المعرفة الجامعية،د.ت
- _____، المغول والأوربيون والصليبيين وقضية القدس، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣م.
- ميرسيا إلياد، "تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبدالهادي عباس، ط١،ج٣، دمشق، ١٩٨٦م.
- نعمان محمود جبران، محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير: أسباب ونتائج، دراسات تاريخية، العددان ٣٩، ٤٠، جامعة اليرموك، ١٩٩١م.
- هارولد لامب، جنكيز خان وجحافل المغول،ترجمة متري أمين، القاهرة،١٩٦٢م

ثالثا: المصادر الأجنبية :

- Anonymous, The Chronicle Of Novgorod:1016- 1471,Trans from Russian by Robert Michell and N.Farbes,London, 1914,Vol.XXV
- Dawson ,Ch.,(ed), Mission to Asia,London,1966
- John Of Plano Carpini,History Of The Mongols, in Dawson ,Ch.,(ed), Mission to Asia,London,1966 .
- Joinville,jean.,Chronicle of Crusade of st.Lewis,ed.and trans.by ,by Frank Marzials,London,1965.

اعتمدت على الترجمة العربية لهذا المصدر:

- جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة وتعليق حسن حبشي، دار المعارف، الطبعة الأولى،١٩٦٨م.
- Marko Polo,The Desciption of the World,ed.A.C.Moule and Paul Pelliot,London,1938.

اعتمدت على الترجمة العربية لهذا المصدر:

- ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ترجمة عبد العزيز جاويد،القاهرة،٣ أجزاء، الطبعة الثانية،١٩٩٥م
- Matthew Of Pairs, English History from 1235-1273, Trans. By: J.A.Gills,(2 Vols.), London,1852

واعتمدت على الترجمة العربية لهذا المصدر:

- متى الباريسي، التاريخ الكبير(١٢٣٥-١٢٧٣م)، ترجمة وتحقيق سهيل زكار، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٤٠، دمشق، ٢٠٠١م

- Otto,Bishop of Freising, the cktwo cities, Achronicle of universal history to the year 1146 A.D,Trans and Notes by Charles Chrisopher Mierow, ,Columbia university,1928.
- The Narrative of brother Bendict in Dawson ,Ch.,(ed), Mission to Asia,London,1966.
- The journey of William of Rubruck,to the Eastern parts of the world (1253-1255),as Narrated by himself with the Two Account Of The Earlier Journey of John Of Pian de Carpine,Trans by Rockhill, W.W.,London,1900
- Urgunge Onon, The Secret History Of The Mongols: The Life and Times Of Chiggis Khan, London and New York, 2001
- وقد اعتمدت على الترجمة العربية : التاريخ السري للمغول، ترجمة سهيل زكار، دمشق، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م
- William Of Rubruck,The Journey Of William Of Rubruck, in Dawson ,Ch.,(ed), Mission to Asia,London,1966.

رابعا : المراجع الأجنبية:

- A.E.Mckilliam,M.A., A chronicle of the popes from St Peter To Piusx, London, 1912
- Baldwin,M.W.," Missions To The east in Thirteenth and Fourteenth Centuries", in Setton(ed).,A History of the Crusades, Vol.5, Wisconsin, 1985,pp.452- 518.
- Boswell,A.Bruce.," Territorial Division and The Mongol Invasions:1202-1300", The Cambridge History Of Poland, Cambridge ,vol.1,1950
- Boyle,J.A., " A form of Horse Sacrifice A mong the 3th and 14th century mongols, central Asiatic journal, 1965,x,3-4
- _____ , " Turkish and Mongol Shamanism in the Middle Ages", in Folklore, Vol.83, No.3, (Autumn, 1972), pp.183-184.
- Chambers,James, The Devil's Horsemen:The Mongol Invasion Of Europe, London,1979

- Cheshire,Harold.,"The Great Tatar Invasion Of Europe", in Slavonic Review,1926
- Cordier,Henri, La Christianisme en Chine et en Asie Centrale sous les Mongols,ToungPao,second series, vol.18,n 1/2,1917
- Denis Sinor "The Mongol and Western Europe", in Setton(ed).,A History of the Crusades,Vol.3,Wisconsin,1975, pp.513-544.
- _____, History Of Hungary,London,N.D
- Diens, M.," Eastern Mission",Isis,1937,vol.27
- Dmytry,Basil(ed and trans),Medieval Russia, A source Book 900-1700,New York,1967
- Dvornik, Origins of Intelligence Services,New Jersy, 1974
- Eric Voegelin, " The Mongol Orders Of Submission To European powers 1245-1255",in Byzantion,vol.15,(1940-1941)
- Guzman,Gregory C.,Simon of Saint Quentin and the Dominican Mission to the Mongols:1245- 1248, unbuplished Ph.D,Cincinati university,1968
- _____," Simon of Saint Quentin and the Dominican Mission to the Mongol Baiju",Speculum,Xlvi,1971.
- Ho,C.," Thirteenth and Fourteenth Century European- Mongol",university of California Santa Barbara, 2012.
- Howorth.,H.H, history of the Mongols from the 9-19 century, vol.1, London,1880
- Jackson,Peter., "The Mongols and Europe",in the new Cambridge medieval history, Cambridge University Press,2008
- John Moorman, A History Of the Francisan Order from its Origins to the year 1517, Oxford, 1968
- Martin Dimnik, The Dynasty Of Chernigov (1146-1246), Cambridge University Press, New York,2003.
- Morgan,D.,the mongols,U.S.A,1996
- Nowell,Ch.," The historica prester John", Speclum,vol.XXVIII,No.3, 1953
- Pelliot,P.," Les Mongols et La Papaute,Revue De L'Orient Chretien, XXIV,1924.

- Phaire,Barbara Rose.,Papal Motivations for Asian Apostolate:1245-1254,Analysis Unbuplished Ph.D, New York, 1972.
- Rachewiltz,Igorde,Papal Envoys to the Great Khans,London,1970.
- Richard,J.,La papaute et Les Missions D'Orient au Moyen age (XIII- XV siècles),ecole Franciase de Rome, 1977.
- _____," La Papoute Et Les Missions d'Orient au Moyen Age (XIII-Xv Siecles), ed. In C.M.V: Les Perspectives Orientals du monde Latin Medieval, (C.S.),182,London : Variorum,1983
- Saunders,J.J.,The History Of The Mongol conquests, London, 1971
- The Oxford Dictionary of Popes, by:J.N.D.Kelly, (New York : Oxford University press,1999)
- Vernadsky, The Mongol and Russia, New Haven,1953.
- Victor,P.Bernardin, Histoire Universlle Des Missions Franciscaines, Parise, 1898
- Yule,H., Cathay and The Way Thither, London, 1915
- Zhan Zhang,beyond Preaching: Papal le gate and Sino-western contact in Mongol Yuan Eurasia: 1206-1368, A thesis submitted to the graduate Faculty of Ph.D, in North Carolina state University,2020.